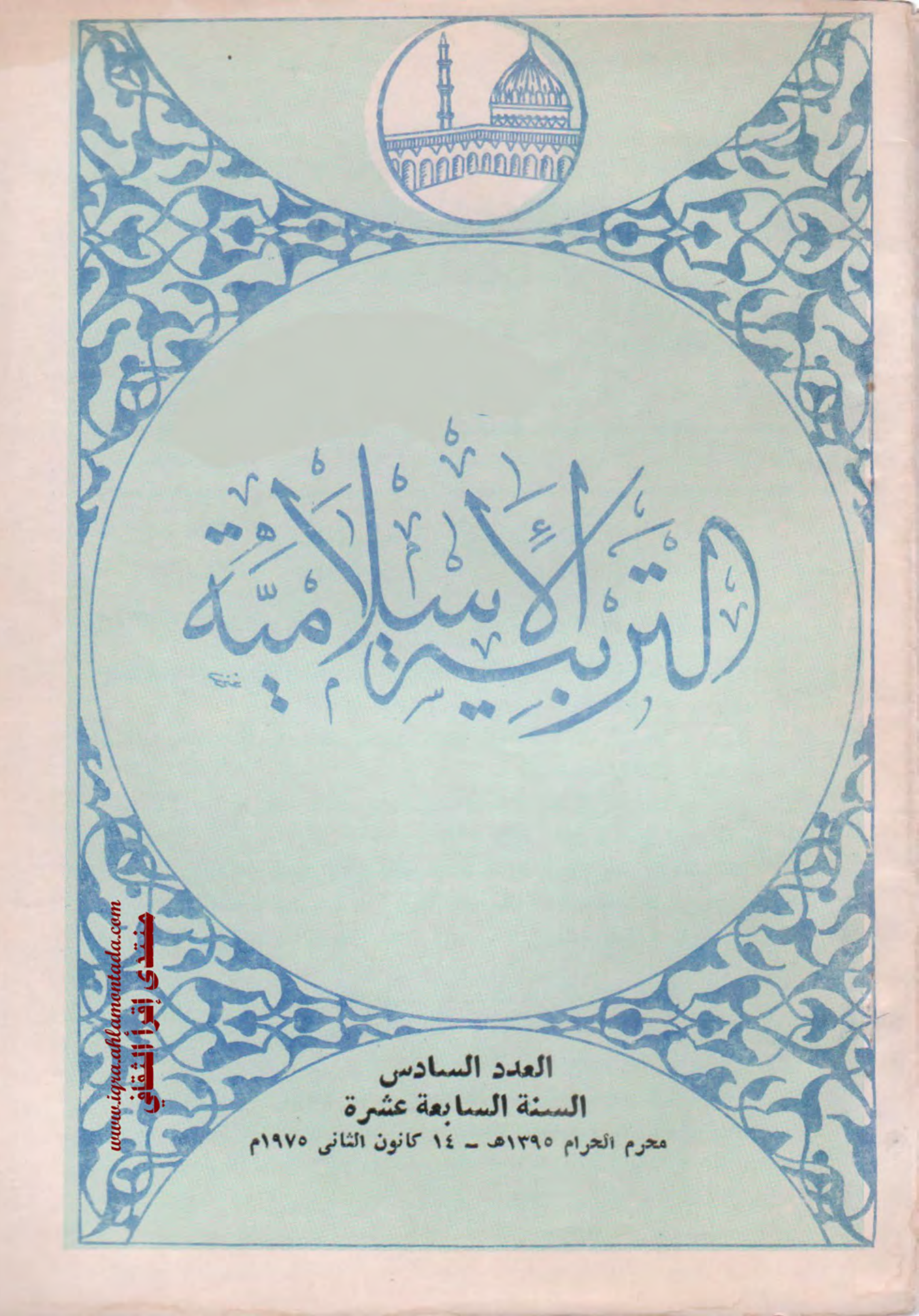

التربية الإسلامية
العدد السادس
السنة السابعة عشرة
محرم الحرام ١٣٩٥هـ - ١٤ كانون الثانى ١٩٧٥م

قال الله تعالى :

(حتى اذا استيأس الرسل وظنوا انهم قد كـذبوا جاءهم نصرنـا فنجيّ من نشاء ولا يرد بأسنا عن القـــوم المجرمين)

بسم الله الرحمن الرحيم

التربية الاسلامية

مجـلة اسلامية شهرية تصدرها
جميعـة التربيـة الاسـلامية
غرة كل شهر قمري

ادارة مجلة
التربية الاسلامية
بغداد ـ الكرخ
تلفون ٣٠٥٧٣

تلفونات
مدرسة التربية الاسلامية
بالمنصور
٣٦٩٩٤ ، ٣٦٩٩٧

العدد السادس محرم الحرام ١٣٩٥ هـ ـ ١٤ كانون الثاني ١٩٧٥م السنة السابعة عشرة

الهجرة وتاريخ هذه الامة

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على سيدنا محمد وعلى آله واصحابـه اجمعـين ٠

من سنن الله تعالى التى استنها لبنى الانسان ، ان يأخذوا بالاسباب ، ويستعينوا بالوسائل متى ما ارادوا الحصول على شيء من الاشياء ٠

فمن اراد الحصول على لقمة العيش مثلا ، عليه ان يبحث عن تلك الاسباب ثم يسير بموجبها لينال بغيته في هذه الحياة ٠

حتى ان اللقمة وهي في متناول يد الانسان ورهن اشارته لابد وان يرفعها الى فيه ، ثم يمضغها جيدا ويدفعها داخل جوفه ٠

تلك سنة من سنن الحياة ارادها الله سبحانه وتعالى لتبرز واضحة امام عباده ، فيسعوا جادين في طلب الاسباب ٠ وهو جلت قدرته آخذ بناصيتهم الى ما يقصدون ، ذلك لانهم ساروا وفق سنة من سننه في هذه الحياة (فامشوا في مناكبها وكلوا من رزقه واليه النشور) ٠

ولقـد برزت سنة الله واضحة امـام رسوله الكريم صلى الله عليه وسلم يوم خرج الى الطائف حينما ضاقت به السبل واشتد عليه الكرب ولاقى انواعا من صنوف الاذى والعنت من كفار قريش ٠

حيث توجه الى ربه سبحانه وتعالى قائلا (ان لم يكن بك عليّ غضب فلا ابالي) ٠

ويأتيه جبريل من رب العزة سبحانه وتعالى ثم يعرض عليه ان يطبـق عليهـم الجبلين جزاء ما فعلوا ، فيأبى الرسول الكريم آملا ان يخرج الله من اصلابهم من يعبد

الله رب العالمين ، واستمر في دعوته الى الله دون كلل او ملل ٠

وأسوتنا صلى الله عليه وسلم اراد بهذا ان يعلّم الامة ان لا سبيل للحصول على المطالب العالية الا بالتضحية والعمل الدائب المخلص لله سبحانه وتعالى ٠

ولكى تتم نعمة الله على عباده في الارض ، وتحقيقا لسنته في الحياة باخذ الاسباب التى وضعها ربنا جلت قدرته في الدعوة الى الله ، من اجل ذلك اذن الله تعالى لرسوله الكريم صلى الله عليه وسلم بالهجرة من بلده الذى ولد فيه ، وقضى في ربوعه السنين الطوال ، الى المدينة المنورة التى وجد فيها بلدا طيبا أتت فيه الدعوة ثمارها اليانعة ٠ ودخل الناس في دين الله افواجا ، وأتم الله نعمته وارتضى للامة دينها الخالد الذى سعد الناس به يوم عرفوه حقا وعملوا به (اليوم اكملت لكم دينكم واتممت عليكم نعمتى ورضيت لكم الاسلام دينا) ٠

وانتقل الرسول الكريم عليه افضل الصلاة والسلام الى الرفيق الاعلى فجاء من بعده الخليفة الراشد ابو بكر الصديق رضى الله عنه ومن ثم امير المؤمنين الخليفة الراشد عمر بن الخطاب رضى الله عنه ٠

وفي عهده توسعت رقعة الدولة الاسلامية ، وازدادت الفتوحات وتوالت الاحداث الجسام على المسلمين ، وشعر الناس بحاجتهم الى ان يؤرخوا هذه الحوادث ٠

وتشاور الخليفة مع اصحابه فاستقر رأيهم على ان هناك حدثا هاما كان سببا في انتشار دعوتهم ٠ هذه الدعوة التى غيرت مجرى تفكيرهم وربطته بالخالق العظيم سبحانه وتعالى ٠ وجعلتهم اعزة في اوطانهم بعد ان كانوا اذلة ٠

وبسبب هذا الحادث العظيم تغيرت حياتهم وانماط سلوكهم واصبحت في صلة دائمة وقوية مع الله تعالى ٠

كما واصبح الواحد منهم يذكر الله تعالى في كل عمل يؤديه ابتغاء مرضاة ربه ، ذلك لانه يعلم حقا ان حكم الاعمال يتوقف على النية الصالحة (انما الاعمال بالنيات وانما لكل امرىء ما نوى) ٠ كما اشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

وبذلك الحدث الجليل تمكن الفارس المسلم ان يقف امام كبير الاعاجم ويخاطبه (ان الله ابتعثنا لنخرج الناس من عبادة العباد الى عبادة الله وحده ومن ضيق الدنيا الى سعة الآخرة ٠٠٠) ٠

وبعد :

فقد اجمع رأي الامة والخليفة الراشد رضوان الله عليهم جميعا ، اجمعوا على ان يدون الناس في تاريخهم بحادث هجرة الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم من مكة المكرمة الى المدينة المنورة ٠ وصار هذا التاريخ مبدأ لحياة هذه الامة ٠

اجتمع رأي الامة على هذا والامة لا تجتمع على ضلال ٠ وما رآه المسلمون حسنا

فهو عند الله حسن كما اشار الى ذلك رسول الله صلى الله عليه وسلم ٠

والامم اليوم تعنى عناية كبيرة بدراسة تاريخها ، وتحاول ان تضع رجالاتها الذين قدموا لها الخدمات في مكان بارز من حياتها ٠ ثم تقيم لهم الاحتفالات الكبيرة ، وتسمي بعض المناسبات بالاعياد الوطنية ٠

كل ذلك لتستوحي من تاريخها ما ينهض بها الى مدارج الرقي والرفعة ويدفعها نحو خطوات المجد والمعرفة ٠

وحرى بامتنا الكريمة ان تعني العناية الفائقه بدراسة تاريخها ابتداء من هجرة المصطفى صلى الله عليه وسلم ، وتلقن اجيالها ومنذ نعومة اظفارهم ما ورد بتلك الصحائف النيّرة من سير فئة تعتبر مثلا عاليا يحتذى ٠

ان دراسة تاريخ هذه الامة ومنذ بداية الدعوة التى قام بها النبي الكريم صلى الله عليه وسلم لتشحذ فينا الهمم ، وتقوى عندنا العزائم ، وتفيدنا في اخذ الدروس والعبر النافعة في الحياة الدنيا ٠

ثم ان دراسة تاريخ الامة التى فتحت الدنيا المعمورة انذاك ، واضاءت لها الظلم الحالكة ، لتهيء لنا اجيالا صالحة عزيزة الجانب موفورة الكرامة ٠

هذا وان الاطلاع على سيرة قادة الامة الذين ابلوا بلاء حسنا في معاركهم مع قوى الكفر والضلال ، ليربي في ابنائنا الرجولة الحقة ويشعرهم انهم احفاد اولئك الذين لم تلن قناتهم يوما من الايام ، ولم يعرفوا معنى للجبن والتخاذل ٠

فما احوجنا اليوم لان ندرس تاريخ امتنا بما تمليه ظروفنا الحاضرة حيث تكالبت علينا امم الكفر والالحاد ٠

وما احوج الامة لان تصلح حالها بما صلح به اولها ، فتستقى من معين صاحب الهجرة صلى الله عليه وسلم ما يروى ظمأها ٠

فجدير بنا ان نولي دراسة تاريخ امتنا ما يستحقه من العناية ، ونخصص له الجزء الاكبر من مادة التاريخ ، لنبرز لاجيالنا تلك المواقف الخالدة والحاسمة التى فاضت بها صحائفه ، وكانت سببا في بروز كيانها وجعلها في مقدمة الامم ٠

والاولى لنا اذا ما اتجهنا في دراسة هذا التاريخ العطر ان نؤرخ في حياتنا بالتاريخ الهجرى وان نعتز به كل الاعتزاز ، ذلك لان لنا تاريخا مجيدا حافلا بالمكرمات ، جديرا بالدراسة والتأمل وأخذ العبرة منه لمن اراد ان يعتبر (والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها ابدا ذلك الفوز العظيم) ٠

هيئة التحرير

« وَإِنْ يَمْسَسْكَ اللهُ بِضُرٍّ فَلا كَاشِفَ لَهُ إِلاَّ هُوَ وَإِنْ يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ » ـ ١٧ ـ

« وَعِنْدَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُبِينٍ » ـ ٥٩ ـ

« وَلَقَدْ جِئْتُمُونَا فُرَادَى كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَتَرَكْتُمْ مَّا خَوَّلْنَاكُمْ وَرَاءَ ظُهُورِكُمْ وَمَا نَرَى مَعَكُمْ شُفَعَاءَكُمُ الَّذِينَ زَعَمْتُمْ أَنَّهُمْ فِيكُمْ شُرَكَاءَ * لَقَدْ تَقَطَّعَ بَيْنَكُمْ وَضَلَّ عَنكُمْ مَّا كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ » ـ ٩٤ ـ

« قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِن رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظ » ـ ١٠٤ ـ

« أَوَ مَنْ كَانَ مَيْتاً فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُوراً يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَن مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا كَذَلِكَ زُيِّنَ لِلْكَافِرِينَ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ » ـ ١٢٢ ـ

« وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُوا السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَنْ سَبِيلِهِ ذَلِكُمْ وَصَّاكُمْ بِهِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ » ـ ١٥٣ ـ

« وَهَذَا كِتَابٌ أَنْزَلْنَاهُ مُبَارَكٌ فَاتَّبِعُوهُ وَاتَّقُوا لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ » ـ ١٥٥ ـ

[من سورة الانعام]



عن ابي هريرة رضى الله عنه أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال :

« ما نَقَصَتْ صَدَقَةٌ من مالٍ ، وما زاد اللهُ عبداً بعفوٍ إلاَّ عِزّاً ، وما تواضعَ أحدٌ للهِ إلاَّ رفعَهُ اللهُ » رواه مسلم •

وعن عياض بن حمار رضى الله عنه قال : قال رسول الله صلى الله عليه وسلم :

« إنَّ الله أوحَى إليَّ أنْ تواضَعُوا حتى لا يَفْخَرَ أحدٌ على أحَدٍ ولا يَبْغِيَ أحَدٌ علَى أحَدٍ » رواه مسلم •

وعن أنس رضى الله عنه أنَّهُ مرَّ علَى صبيانٍ فَسَلَّمَ علَيْهِمْ وقال : كان النبي صلى الله عليه وسلم يفعله ، متفق عليه •

وعن الاسْودِ بن يزيد قال : سُئِلَت عائشة رضى الله عنها ما كانَ النَّبيُّ صلى الله عليه وسلم يَصْنَعُ في بَيْتِهِ ؟ قالت : كان يكُونَ فى مِهْنَةِ أهْلِه « يعني خدمةِ أهلِه » فاذا حَضَرَتِ الصَّلاةُ خَرَجَ إلى الصَّلاةِ ، رواه البخاري •

وعن ابى هريرة رضى الله عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال « ما بعث اللهُ نبيّاً إلاَّ رعَى الغَنَمَ » قال أصحابُهُ : وأنتَ ؟ فقال : « نعم كُنتُ أرعاها علَى قَرَارِيطَ لأهلِ مكَّةَ » رواه البخاري •

وعنه عن النبي صلى الله عليه وسلم قال لَوْ دُعيتُ إلَى كُرَاعٍ أو ذِرَاعٍ لأجَبْتُ ولو أُهْدِيَ إليَّ ذِرَاعٌ أو كُرَاعٌ لقَبِلتُ ، رواه البخاري •

[الاختيار من كتاب (رياض الصالحين)]

فقه السنة

الأوقات المنهي عن الصلاة فيها

عَنْ أَبي سعيد رضى الله عنه ، أَنَّ النَّبيَّ صلى الله عليه وسلم قالَ : « لاَ صَلاةَ(1) بَعْدَ صَلاةِ العَصْرِ(2) ، حَتَّى تَغْرُبَ الشَّمْسُ ، وَلا صَلاةَ بَعْدَ صَلاةِ الفَجْرِ حَتَّى تَطْلُعَ الشَّمْسُ » . (رواه البخاري ، ومسلم ، واحمد) .

وعن عقبة بن عامر رضى الله عنه ، قالَ : (ثَلاثُ سَاعَاتٍ نَهَانَا رَسُولُ

---

(1) « لا صلاة » : نفي بمعنى النهي ، والتقدير . لا تصلوا .

(2) « بعد صلاة العصر » : النهي عن الصلاة بعد صلاة العصر ، وبعد صلاة الفجر ، اعلام بانه لا يتطوع بعدهما ، ولم يقصد الوقت بالنهي ، ويؤيد ذلك ما رواه ابو داود والنسائي ، باسناد حسن عن علي كرم الله وجهه ، عن النبي صلى الله عليه وسلم ، قال : « لا تصلوا بعد الصبح ، ولا بعد العصر ، الا ان تكون الشمس نقية » ، فدل على ان المراد بالبعدية ليس على عمومه ، وانما المراد وقت الطلوع ، ووقت الغروب ، وما قاربهما .

وذهب الجمهور الى ان الصلاة في هذين الوقتين مكروهة ، ومن هؤلاء القائلين بالكراهة من يقول : انه يجوز من الصلاة في هذين الوقتين ما له سبب كتحية المسجد ، وهم الشافعي والمؤيد بالله من أئمة الشيعة ، ومنهم من يقول بكراهة التطوعات في هذين الوقتين مطلقا ، كالامام ابي حنيفة . ومنهم من يقول بالمنع من صلاة الفرض في هذه الاوقات ، كأبي بكرة ، وكعب بن عجرة .

والحق في هذا ان يقال : ان الاحاديث القاضية بكراهة الصلاة بعد صلاة العصر والفجر عامة ، مخصصة بالاحاديث التى اباحت بعض انواع الصلاة ، كحديث علي الذى اباح الصلاة ما دامت الشمس نقية ، وكحديث صلاته عليه السلام ركعتي الظهر بعد العصر ، وكحديث الصلاة على الجنازة ، الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم :

« يا عليّ ، ثلاث لا تؤخرها ، منها الصلاة اذا أتت ، والجنازة اذا حضرت » ،

الله صلى الله عليه وسلم أَن نُصَلِّيَ فِيهِنَّ ، أَوْ أَنْ نَقْبُرَ[3] فِيهِنَّ مَوْتَانَا : حِينَ تَطْلُعُ الشَّمْسُ بازِغَةً[4] حَتَّى تَرْتَفِعَ ، وَحِينَ يَقُومُ قائِمُ الظَّهِيرَةِ ، وَحِينَ تَضَيَّفُ[5] لِلغُرُوبِ حَتَّى تَغْرُبَ) •

(رواه مسلم ، واحمد ، وابو داود ، والنسائي ، والترمذي ، وابن ماجة) •

[الاختيار من كتاب (المنتخب من السنة) المجلد الثالث]

وكحديث صلاة الكسوف والخسوف ، الذى يقول فيه النبى صلى الله عليه وسلم « ان الشمس والقمر آيتان من آيات الله ، فاذا رأيتموها فافزعوا الى الصلاة » وكحديث : « من نسي صلاة فليصلها اذا ذكرها » •

(٣) « أن نقبر » : بضم الباء وكسرها ، والمراد تعمد تأخير الدفن الى هذه الاوقات ، كما يكره تعمد تأخير العصر الى اصفرار الشمس بلا عذر ، وهى صلاة المنافقين فأما اذا وقع الدفن بلا تعمد في هذه الاوقات ، فلا يكره •

(٤) « بازغة » : ظاهرة •

(٥) « تضيف » : المراد الميل •

كمثل الذي ينعق بما لا يسمع إلا دعاء ونداء

للدكتور وجيه زين العابدين

هذه الآية الكريمة من سورة البقرة نقد لمن لا يستعمل حواسه وعقله بل يهملها مقلدا هـذا وذاك من غير تفكير وهي من صفات الكفار لقول الله عز وجل في ابتداء هذه الآية (ومثل الذين كفروا كمثل الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاءاً ونداءاً صم بكم فهم لا يعقلون) ..

يذكر علماء النفس والاجتماع شيئا يسمونه غريزة القطيع ومعناها كما يقول القاموس (التجمع) .. [وهي الدافع او النزعة التي تدفع بالحيوان (ويشمل ذلك الانسان) الى ان يتخذ من الاعمال ما هو ضروري لبقائه وحفظ نوعه ونموه .. وهي ايضا (الوحي في الحيوان) وهي الميل القوي لاعمال معينة واشكال من السلوك يرافقه في الغالب هياج عاطفي][1] ... واذكر ان استاذنا لعلم النفس في كلية الطب كان قد علمنا وعرّف هذه الغريزة من جانبها الحيواني كما قال .. أي التقليد واتباع الجماعة من دون تفكير وشبّه ذلك بالغنم اذا قفزت شاة لحقها الشياه كلها ..

والذي اريد ذكره هو الجانب الحيواني من هـذه الغريزة ، وهـذا الذي عنته الآية الكريمة ولنرجع الى التفسير .. (.. فالكافر هو الذي يجحـد الحـق وهو يعرفه .. انها كالدواب السارحـة لا تفقه ما يقال لها .. اذا صاح بها راعيها سمعت مجرد صوت لا تفقه ماذا يعني .. اذا زجرها راعيها انزجرت واذا قادها تبعته وهي لا تدري ان كانت تسير الى المجزرة ام الى المرعى ..)[2] .

فالله عز وجل اراد من الانسان ان يستعمل حواسه فيما يُعرض عليه بل حتى قبوله للدين الاسلامي وان كان له جذور في فطرته وأول خلقه لا زال مطلوبا منه ان

---

(١) قاموس وبستر Webester ودائرة المعـــارف البريطانية British Encyclopedia تحت كلمة Herd Instinct

(٢) نقلا من مختلف التفاسير .

يستعمل عقله[٣] ولذلك عُدّ من لم يستعمل حواسه غافلا وضالا بل كافرا احيانا كما ذكرت هذه الآية الكريمة ..

ويقع تحت تأثير هذه الغريزة الفرد او الجماعة وربما اصيبت الاسرة كلها بل قد تقع الامة كلها تحت تأثير زعيم محبوب يقودها وفق هواه فتراه يخطط مسيرتها وربما اوصلها حتفها من حيث يشعر او لا يشعر والجماعة تجد نفسها فى خير وبركة، كلما ازدادت شقاءاً احست وكانها فى غاية السعادة .. كل ذلك بسبب غفلها واستسلامها لهذا الرئيس المحبوب وقد يظهر لاحدهم الخطأ بينا واضحا ولكنه يبرر ذلك ويُمني نفسه ويقول لابد للشهد من ابر النحل .. بل ان الاسرة والامة لتصاب كلها حتى يعمى مفكروها عن الواقع السيء الذى هم فيه .. انهم واقعون تحت تأثير غريزة القطيع .. هذا جانب عام .. وهناك مشهد واضح ربما اصيب به العالم كله .. وهذا مثلا تشبه الرجال بالنساء والعكس .. انه تقليد أعمى ، هذا اطال شاربه فليفعل هو وهذا ترك الشعر مسترسلا فاسترسل هو مع شعره ...

ما هذا الذى نرى ؟ . اصبحنا لا نفرق احيانا كثيرة بين الفتى والفتاة لتشبه احدهما بالآخر .. اللباس انثوى حتى الملابس الداخلية .. هذا الذى يدخل تحت المرض الذى يسميه الطب Transvestism اي انحراف اللبس[٤] نعم انه مرض نفسي جاء عن طريق التقليد وغريزة القطيع[٥] ..

كيف استطاع هذا الشخص الاستحواذ على الشباب ، قد يكون لاعب كرة عالمي او ممثل سينمائي او شاعر او كاتب او طبيب .. وقد يكون رئيس الاسرة او الامة

---

(٣) قال كثير من الفقهاء ان ايمان المقلد ليس بايمان والقصد هو بلا شك التقليد الاعمى اذ لا بد لمن يعلم ان يتبع عالما وهذا اتباع لا تقليد لان من حق السائل والمتبع ان يعرف الدليل الشرعي من عالمه .

(٤) القاموس العربي الموحد للدكتور محمود الجليلي .

(٥) جاء في احدى الكتب الطبية عن الطب الباطني

A short Text Book of Medicine

وفي المجلات الطبية ان الرجل المصاب يتشبه بالانثى بلباسه ثم يدخل تدريجيا في عادات المرأة وعملها حتى لينفر من اى عمل يخص الرجال ثم يتوهم نفسه انثى (فيسعى عن طريق الادوية لتكوين ثدي له) ثم يصل الامر فيطلب من الجراح اجراء عملية له ليكون انثى .

صاحب ملكه خاصه له بيان يسحر الناس •• ومهما يكن فلن يستطيع أحد مهما اوتي من دراية وحكمة وعلم او فن أن يؤثر على الناس ما لم يكونوا قد وقعوا هـم تحت تأثير غريزة القطيع التى قال عنها الله انها من صفات الكافرين الذين لا يستفيدون من نعم الله عليهم • لا ينتفعون بسمعهم ولا بابصارهم ولا بعقولهم •• انهم يضعون الغطاء على حواسهم •• والكافر لغة هو الغطاء ••

هذا رب الاسرة الذى اما ان يكون صاحب موهبة فاستفاد من موهبته فى قيادة اسرته حتى خضعت له فلا ترى الا ما يرى ولا تسمع الا دعاءاً ونداءاً انه فى الحقيقة طاغوت تعبده اسرته من حيث تشعر ولا تشعر •• وهذا الرئيس قد يكون رجلا من عامة الشعب فاذا به فى منصب كبير يلتفت حوله !! اين كان واين هو الآن !! الموظفون والمستخدمون والناس فى خدمته وطلب رضاه ، وما اكثر المنافقين من حوله يزينون له عمله فيراه حسنا •• قوله الفصل والقانون انـه الحاكم والمديـر والطبيب والمهندس والقانوني •• كل شيء •• وكل شيء •• نعم انه لا يخطيء حتى ليؤمن انه المعصوم الذى لا يقع فى الغلط ابداً •• ويا ويل من ينصحه او يجيب على سؤاله جوابا لا يتفق مع هواه •• فليكن كما يزعم الربّ لهؤلاء الرعايا •• وقد ورد ذكرُ مثل هذا فى القرآن الكريم فى قصة فرعون يوم قال (انا ربكم الأعلى) • قد يصل مثل هذا لوظيفته باتخاذ اسبابها شرعية كانت او لااخلاقية •• او انه ولد مدلل لا يعرف الا طاعة امه له وتنفيذ كل رغباته •• وترعرع واصطدم بالواقع فلا يجد الطاعة التامة من اقرانه وهو امـر لم يألفه فى بيته فليسع لنيل بغيته مهما كلفه الامر ••• ينفق على اقرانه فيتظاهر بالغنى والثروة ويستدين ويحتالويخادع ويمكر وقد ينجح مدة طويلة وينال منصبه • ولكنه لا ينـال حاشـية الا قد فقدت حواسها ووقعت تحت غزيرة القطيع(٦) •• ولهذا الطغيان حدود من الزمن •• نعم قد يجوز ان يبقى هذا الموظف

(٦) قد تؤثر غريزة القطيع على الناس كثيرا حتى ينشروا الاساطير والخرافات عن زعيمهم مثال ذلك قصة الدجاجة التى باضت بيضة مكتوب عليها اسم الزعيم •• وربما يذكر كثير من الناس قصة ذلك الدعي بالنبوة الذى كانت معجزته امام الخليفة طاعة المؤمنين بنبوته له طاعة عمياء اذ يأمرهم ان يصيحوا مثل الديكة وينبحوا كالكلاب وينهقوا ، قال الخليفة ان هؤلاء الذين آمنوا بك حمير فقال مدعي النبوة ومن قال لك انني نبي البشر •••

او رب البيت محبوبا من معيته واسرته طيلة حياتـه فى الوظيفة ولكن امره ينكشف يوما[7] يعرفه الناس احد الطغاة الذين ما كان يؤثر مصلحة افراد اسرته او امته الا حين لا تعارض هواه •• وكيف يكشف امره ؟ ان استبداده برأيه يسبب له خسارة خبرة الناس فلا يجرؤ احد على نصحه وان استشار فانما يريد ـ كما قلت ـ الرأي الذى يتفق وهواه •• وتمر الاعوام فاذا به يتورط فى امر او عمل معتمدا كالعادة على رأيه فقط واذا به يفقد ماله او جاهه او منصبه ويعيش بقية عمره ذليلا ويموت ذليلا ، وقـد ضرب الله تبارك وتعالى مثلا لهـذا المصير قصة فرعون الـذى تكبّر على رب المستضعفين ولم يقبل بنصح النبي موسى عليه السلام له (مع ان النبي موسى واخـاه قالا له قولا لينا) فقال (يا ايها الملأ ما علمت لكم من اله غيري)•• فما كانت نتيجته ؟! يقول الله تبارك وتعالى (حتى اذا ادركه الغرق قال آمنت انه لا اله الا الـذى آمنت به بنو اسرائيل وانا من المسلمين)[8] نعم آمن برب بنى اسرائيل وقد اضطهدتهم حاشيته •

اخي المسلم

فمن ينقذ هذه الامة ويرفع عنها الغشاوة ، انه المسلم والمسلم فقط ، قد يظهر رئيس او قائد له دراية وخبرة فينقذ جيشه الهارب تحت تأثير غريزة القطيع ولكن هذه لوقت محدود وجماعة محدودة وفى قضية واحدة[9] •• المسلم هو الذى يرفع الغشاوة عن شباب بل كهول هذا العالم فقلّد الشباب مُثلهم تقليدا اعمى وغفل الكهول بل الشيوخ (ولا اقول كلهم) حتى صـار العـالم اجمع فى فوضى خلقية وجنسية وسياسية واقتصادية •• أين المسلم الذى يرجع الى الله فيقرأ كتاب الله لينقذ اسرته من الفوضى والتقليد الاعمى والاختلاف •• ان الله عز وجل خالـق الانسـان ولم يتركه من غير هداية فبعث له الانبياء مع رسالاتهم حتى انتهت جميعا برسالة محمد

(٧) قال الله تبارك وتعالى (ليميز الله الخبيث من الطيّب ويجعل الخبيث بعضه على بعض فيركمه جميعا فيجعله في جهنم اولئك هم الخاسرون) •• الانفال

(٨) لا بد من تكرار القول ان بني اسرائيل في ذلك الوقت هم اتباع موسى عليه السلام وهم مسلمون كما ذكرت ذلك الاية الاخرى من نفس السورة اى سورة يونس

(٩) لقد رأيت بنفسي قبل ثلاثين عاما حادثا مثل هذا ووقف القائد في مكان مرتفع واصدر اوامره وثبت في مكانه واقفا مدة اكثر من اربع ساعات ورأيت الجندى والضابط يجرح من حوله وبجانبه وقد حفظه الله حتى انقذ الموقف •

صلى الله عليه وسلم وهذه الرسالة المشتملة على القرآن الكريم والسنة •• انها منهج الانسان •• نعم ان الاسلام دين الانسان اذ فيه وفي تطبيقه فقط يكون الانسان انسانا حقا ••

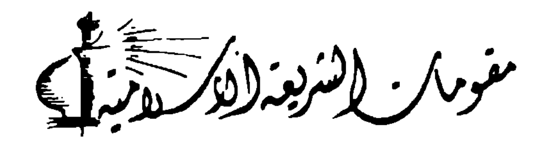
اخي المسلم

ان كنت ربّ اسرة فربيت طفلا لك على تنفيذ رغباته فانك قاتله حتما •• تب من الآن واصلح حالك والزم التربية القرآنية فى نشأة اولادك وسترى العجب وان كنت رب اسرة مستبدا فانك مقبل على هاوية سحيقة فارجع الى الله وعش مع اولادك وافراد اسرتك ورعيتك ابا رحيما واخا تنصحهم وتستشيرهم وتقبل نصحهم فيما يقولون من حق وستنجو باذن الله من الورطة التى انت فيها وستعيش باذن الله عزيزا وتموت عزيزا واعلم بأنك لو اصررت علىالكبرياء واخذتك العزة بالاثم فان من اتخذوك ربا لهم سيكونون هم انفسهم ولا غيرهم المعول الذى يهدم مجدك (ان كان هناك مجد حقا) هم الذين سينالونك بالسنةٍ حداد فى حياتك وبعد موتك فايّاك ايّاك ان تتكبر وتطغى واسمع الى الحديث القدسي (العزُ ازاري والكبرياء ردائي فمن ينازعني فى واحد منها فقد عذبته) رواه مسلم(١٠) •

وانت يا أخي المسلم ان كنت ممن اصابه الجانب الحيواني من غريزة القطيع فسرت مع الركب حيث ساروا وقلدت من هبّ ودبّ من غير تفكير ، قم الآن الى المرآة فسترى انك انسان ذو عقل وسمع وبصر فكن انسانا بكل ما تعطي هذه الكلمة من معنى ولا تقم باي عمل مهما كان من دون تدبر ، بل استعمل حواسك واتبع الحق حيثما كان ، والصواب فى العمل ما وافق الحقيقة ولا يدل على الحقيقة الا العلم وقد اقررت ان الله عز وجل قد خلق الانسان ، فلا يمكن ان يتركه ضالا على هذه الارض لذلك ارسل له الرسل يرشدونه وكانت خاتمة تعاليمه رسالة محمد صلى الله عليه وسلم رسالة عامة لجميع البشر خالدة الى يوم القيامة ••

قلت لك يا أخي استعمل عقلك •• والعقل يدلك على اتباع العلم الحقيقي الذى جاءك من عند الله فى كتاب الله وسنة رسوله صلى الله عليه وسلم ، ارفع نفسك الى

(١٠) رياض الصالحين باب تحريم الكبر والاعجاب •• اى ان العلو والكبرياء لله وحده فمن نازع الله في هاتين الصفتين فقد كفر فيعذبه الله •



تتمة ما نشر في العدد الماضي

بقلم : الدكتور محسن عبدالحميد

ومن تلك المقومات أن هذه الشريعة الالهية مرتبطة بقانـون اخلاقي ضابط ، وذلك لان الله تعالى أراد ان يمنح الانسان قاعدة صلدة ، ينطلق منها بقوة الى اتخاذ المواقف الصحيحة من الحياة على تنوع مظاهرها •

والتقوى هي هذه القاعدة ، فعن طريقها يظهر الايمان الصادق ، وبها تتهذب النفس وتطمئن ، ويتشرب القلب حلاوة الطاعة للمعبود الحق •

وفى التقوى حفظ التوازن الكامل بـين الروح والمـادة أو بين النفخة الالهية والشهوة الحيوانية ، التى تجمع فتردى الى الهلاك ، ذلك لان هاتين القوتين فى صراع دائم • فكلما كانت قاعـدة التقوى فى الانسان قوية مؤثرة هادفة ، خرج من ذلـك الصراع معافى ، ذا رؤية واضحة ، يمسـك بزمام الموقف ، ويسـيطر على نزوات الانحراف ، فيصحح مسارها ، ويوجه الفطرة السليمة الى الخير •

والتقوى لا تتكون فى النفس من الفراغ ، وانما وضع سبحانه وتعالى من أجل الوصول اليها نظام العبادة من الصلاة والصوم والحج وقراءة القرآن ، والدعاء الخاشع

مقام القرآن الكريم وسر على ضوئه ونوره وسترى الحياة الطيبة فى هذه الدنيا ••

اثبت يا أخي المسلم على اتباع العلم الحقيقي وقف بحزم امام هذا التيار الجارف الذى وضع الانسان فى موضع التقليد الاعمى ، اعزم الآن ان تفعل شيئا فى نفسك اولاً بالعودة الى حضيرة الانسان المفكر ، وسيتبعك على هذا الحق اولادك واهلك ومن ترعاهم •• فكن القدوة الحسنة ، واصمد ولو عارضك من فى الارض كلهم جميعا وثق انك ستفوز وستكون الدنيا الطيبة لك من غير شك فان وعد الله حق وهو الذى وعد المؤمنين بالاستخلاف فى الارض ، ولا يكون مؤمنا من عطّل عقله وحواسه وقد قال رب العزة (ويجعل الرجس على الذين لا يعقلون) •

المستمر ، والفكر المتأمل فى عظمة الله فى خلقه • فمن طريق ذلـك النظام العبادى يدرك الانسان حقائق الوجود ، ويربط فكره وقلبه بخالقه ثم يحب جماله ، ويخاف من جلالـه • فاذا أحبه وخافه أطاعـه ، وفى الطاعة طرد للشيطان ، وكسر لنزوات النفس ، وسير على الطريق المستمر ، ونجاح اكيد فى الصراع المستمر فى كيانه •

ولقد حاول كثير من الفلاسفة قديما وعلماء النفس والتربية حديثا أن يصلوا الى هذا الهدف ، وهو ما يسمونه بتكوين الضمير وغرس الشعور بالمسؤولية • وهذا جميل منهم ، يفرح به العاقل ، ويهش له المؤمن • ولكن شتان بين الفكرتين ، فالتقوى قضية نابعة من حقيقة الوجود ، متصلة بها قائمة على اساس العبودية الخالصة لرب العالمين • ومن هنا فهى اصيلة كاملة شاملة ذات تأثير عميق فى سـلوك الانسان حتى لو انفرد بنفسه وكان بامكانه ان يرتكب المنكرات والشرور بمعزل عن الناس ، بينما فكرة الضمير لا تبتعد عن الوضع المادى للانسان كثيرا • فعلى الرغم من تأثيرها فى سلوكه ، الا أنه يضطرب مع اضطراب الحياة ، ويتحطم على صخرة الجشع والغرور والانحراف ، والتى هى مظاهر لحيوانية السلوك الانسانى • فعلى ذلك فهو لا يقاوم طويلا ، خاصة اذا انفرد صاحبه بنفسه وغابت عنه اعين الناس •

ومن هذه المقومات أن مقصود الشريعة الاسلامية هو تحقيق مصالح العباد ، وهى تعتبرها اذا اندرجت تحت كلية من كلياتها ، لانها هى التى حددت اهـداف السعادة الانسانية ، وطرق تحقيقها ، ودرء المفاسد عنها • أما المصالح التى توجدها الاهـواء فهى فى الحقيقة ليست مصالح •

وضوابط تحقيق المصلحة فى الشريعة الاسـلامية مسـتفادة من الكتاب والسنة والاجماع والاقيسة الصحيحة والاستدلالات المعتبرة •

وهـذا المبدأ المرن يسبب تقدما كبيرا فى المجتمع الانساني • لان المصالح ان لم تعطل ، بل شجعت الشريعة على ايجادها وتسهيل تحقيقها ، وايجاد المجالات الصالحة لهـا ، فان المجتمع يبتعد عن التعقيدات والازمات والوقوف عنـد نقط معينة فى سلم التطور الحضاري • بل ان الحياة الانسانية فى ظل هـذا المبدأ تكون ذات حركـة مستمرة نامية • والحركة الاجتماعية الانسانية هذه هى التى توجد الحياة الحضارية

الراقية المرتبطة ارتباطا مباشرا بالمصالح الاجتماعية العامة ، بعيدا عن الفرديـة القاتلة والمصالح الموهومة الضيقة •

وقد استنبط فقهاؤنا ان غاية الشريعة « تحقيق مصالح الناس خمسة ، وهى حفظ دينهم ونفسهم وعقلهم ونسلهم ومالهم • فكل ما يتضمن حفظها مصلحة ، وكل ما يفوتها مفسدة يجب ان تدرء عن الخلق •

ومن مقومات هذه الشريعة ان اتجاهها جماعى ، فهى شريعة لا تريد تحقيق المصالح الفردية الضيقة على حساب المصالح العامة • وانما تريد تحقيق اكبر قـدر ممكن من المصلحة لاكبر عدد ممكن من أفراد المجتمع ، وحيثما تصطدم المصلحـة الموهومة الضيقة مـع المصالح العامة ، ترجح المصلحـة العامة لانها مصلحـة كلية • والاسلام جاء رحمة للعالمين • ولم يأت لتحقيق مصلحـة قـوم أو طائفة على الاقـوام والطوائف الاخرى •

ومن درس مبادىء هذه الشريعة وأصولها ظهر له هذا المبدأ ظهورا بينا • فقوله تعالى (غير مضار) وقوله عليه الصلاة والسلام (لا ضرر ولا ضرار) ترسيان اساس هذه القاعدة • والحقوق العامة التى قررتها هذه الشريعة الغراء ليست حقوقا طبيعية كما تقررها المذاهب والقوانـين الفرديـة ، وانما هى منح الهية تسحب فى أي وقت يسيء صاحبها استعمالها على الوجه الشرعي • فالمال ـ مثلا ـ له وظيفة اجتماعية ، لانه مال الله والناس منحوا حق التصرف فيه ، ووضعه فى موضعه الصحيح من وجوه الحياة • فاذا اساء صاحب المال الى حق تصرفه فيه ، فبدده وصرفه فى الحرام ، وعلى وجوه الشر بدعوى امتلاكه له ، لا يسمح له بذلك بل يحجر عليه • مصداق ذلك قوله تعالى (ولا تؤتوا السفهاء اموالكم التى جعل الله لكم قياما) •

ونلاحظ ان الآية الكريمة تضيف أموال السفهاء الى المجتمع (اموالكم) ثم يجعل المجتمع قيما عليها (التى جعل الله لكم قياما) •

ولو جئنا الى انظمة الاسلام فاستعرضناها نظاما نظاما ، وجدنا أن جميعها قائم على اساس هذا الاتجاه الجماعى • فنظامه السياسى مبنى على مشاركة الامة والشورى • ونظـام التملك فيه مقيد بمراعاة المصلحـة الاجتماعية • فتحريم الاحتكار والربـا

والبيوعات الفاسدة والمضاربات الباطلة واخراج مال الزكاة والانفاق فى سبيل الله كلها مظاهر لتحقيق هذا الاتجاه من أجل المصلحة الاجتماعية •

وأما نظامه الاجتماعى فقائم على اساس التكافل • فتشريع الاسلام للنفقة والحضانة والوقف للصالح العام ونظام العاقلة او الضمان الاجتماعي مظاهر لذلك التكافل لنظامه الاجتماعى •

أما فى نظامه التربوى ، فانه يحاول ان يربى الجيل علىالايمان الموحد للقلوب المطهر للنفوس ، وحب الخير والتعاون على البر والتكاتف على عمل الخير ونصرة المظلوم والاخذ على أيدى الظالم • فقوله تعالى (انما المؤمنون اخوة) وقوله عليه الصلاة والسلام (أحب لاخيك ما تحب لنفسك) وقوله (مثل المؤمنين فى توادهم وتراحمهم كمثل الجسد اذا اشتكى منه عضو تداعى له سائر الاعضاء بالسهر والحمى) ليعبر عن هذه النزعة الاجتماعية تعبيرا جليا •

وقد قدم رسول الله صلى الله عليه وسلم مثلا رائعا لهذا النوع من التكاتف الذى يضرب على أيدى المخربين وطلاب المنافع الشخصية فقال (مثل القائم على حدود الله والواقع فيها كمثل قوم استهموا علىسفينة فصار بعضهم اعلاها وبعضهم اسفلها ، فكان الذين فى اسفلها اذا استقوا من الماء مروا على من فوقهم ، فقالوا لو أنا خرقنا فى نصيبنا خرقا ولم نؤذ من فوقنا ، فان تركوهم وما أرادوا هلكوا جميعا وان أخذوا على ايديهم نجوا ونجوا جميعا) •

وأما فى نظامه الدفاعى فانه يوجه الامة الى الدفاع عن مقدساتها ، ويعتبر الجهاد فرض عين على كل مسلم ومسلمة اذا دخل العدو أرض الاسلام • لا بل يقرر الفقهاء أن العدو اذا أسر واحدا من الامة فى أقصى المغرب وجب على آخر رجل فى المشرق أن يهب مع اخوانه لاستنقاذه وتخليصه من أيدى الاعداء •

ومن تلك المقومات أن الشريعة الاسلامية شريعة مثالية وواقعية فى آن واحد • مثالية ، لانها تنشد الكمال ، وترسم المنهج الكامل للوصول اليه أو التقرب منه ، ولا ترضى لمعتنقيها الالتصاق بالارض فهى دائما تريد لهم الارتقاء والصعود فى جميع مجالات الحياة • وهذه المثالية ليست خيالية كمثالية افلاطون وانما هى مثالية محسوسة

فى هـذا العالم الـذى نعيش فيه ، وغايـة الاسلام ان يرتفع الانسان على غرائزه الحيوانية ، ويلجمها بلجام الضوابط الاخلاقية • لان الغرائز ان سيطرت على الانسان أردته الى درك الحيوانية ، والحيوانية ان انقلبت الى فلسفة للحياة الاجتماعية اشقت المجتمع وقلبته الى مجتمع الغابة والجرائم والجشـع والفرديـة الموغلـة فى الفتك بالآخرين •

وهذه المثالية تعطى للحياة الحركة الدائمة وتحاول القضاء على السكون ، لان السكون يعنى الموت ، والحركة تعنى الحياة • والحركة التى تدعو اليها حركة متزنة انسانية علمية منظمة متناسقة مع طاقات الانسان الجسمية والروحية •

وواقعية ، لانها تتعامل مع واقع الناس ومشاكلهم وخصوماتهم ، فهى شريعة لـم تأت للملائكة ، بل نزلت على البشر فى هذه الارض • تراعى فطرهم وطاقاتهم • ولا تكلف نفسا الا وسعها • فيها العزائم وفيها الرخص • فيها الواجبات وفيها المندوبات • فيها المحظورات وفيها الضرورات • كل شىء يطلب من الانسان بقدر معلوم وفى وقت معلوم وتحت ظرف معلوم •

ولهذه الواقعية الواضحة ، جاءت مبادىء هذه الشريعة كلها سهلة ميسورة قابلة للتطبيق فى جميع مجالات الحياة فى كل زمان ومكان • فقوله تعالى (يريد الله أن يخفف عنكم وخلق الانسان ضعيفا) وقوله عليه الصلاة والسلام (بشروا ولا تنفروا ويسروا ولا تعسروا) وقوله (أتيتكم بالحنيفية السمحة) ليجلى فطرة هذه الشريعة وواقعيتها جلاءا كاملا •

ومن مقومات الشريعـة الاسـلامية أنهـا ليست شريعة جامدة مغلقة لا تراعى تطورات الحياة ، ولا تؤمن بحركتها المستمرة ، وتغيراتهـا المتنوعـة ، بل هى شريعة مفتوحة ابوابهـا للاجتهاد المستمر من قبل العلماء الراسخين ممن تتوفر فيهم شروط الاجتهـاد •

والاجتهاد له ضوابطه وقواعده الاصولية • فمنها ما يستند على الاصول اللغوية ومنها ما يستند على النصوص القرآنية أو نصوص السنة النبوية ومنها مجموعة قواعد اصولية وفقهية فرعية مستنبطة من كليهما •

ولاستعمال العقل ايضا فى فهم روح الشريعة ضوابط وقواعد فى غاية الدقة والموضوعية •

ولقد استطاع فقهاؤنا فى تاريخنا الفقهى الطويل أن يواجهوا احداث الحياة المتغيرة ، مستنبطين لها الاحكام الدقيقة المناسبة ، وموجدين لها الحلول العملية المستندة على تلك الاصول والقواعد •

ونستطيع ان نقول بكل علمية ووضوح أن العالم الاسلامي بمجموعه لم يواجه مشكلة من مشاكل الحياة وقف الفقهاء أمامها حائرين لم يجدوا لها فى تلك الاصول مخرجا ، لانها اصول عامة ، تسع الحياة الانسانية وتعبر عن حركتها الفطرية تعبيرا صادقا •

ولو راجعنا موسوعاتنا الفقهية فى مختلف المذاهب لحصلنا على كنوز من النظريات القانونية والآراء الفقهية والحلول الرائعة للمشاكل الحيوية •

وليس من شرط التمسك بهذه الشريعة الاسلامية وتعظيمها والاعتقاد بكونها من الله سبحانه وتعالى ان نقول بكل ماقال الفقهاء الاولون من الاجتهادات المتعلقة بالاعراف الوقتية والمصالح الآنية والظروف الخاصة • بل يستطيع فقهاء عصرنا ان يراجعوا أقوالهم ويعرضوها على القرآن والسنة ويأخذوا باقربها اليهما ، واشبهها بالحق وتحقيق المصالح المعتبرة • ثم ان لهم أن يجتهدوا كما اجتهد اسلافهم فى اطار الاصول الشرعية وقواعدها العامة •

وبذلك يتجدد شباب الفقه الاسلامى فى كل زمان ومكان ، و لاتجمد الحياة عند عصر من العصور •

ومن باب الاعتراف بالحق ان كثيرا من علمائنا الراسخين فى هذا العصر فى مختلف بلاد الاسلام قدموا للامة ولمن يريد السير على هدى هذه الشريعة الخالدة ، ابحاثا مستفيضة ودراسات جامعية رصينة عالجت مختلف مسائل الحياة بعمق فقهى اصيل واخلاص عظيم لله ولرسوله وخدمة منقطعة النظير لهذه الامة المؤمنة •

فلم يبق أمام الفقهاء والقانونيين الا تقنين هذه الدراسات وتلك الابحاث حتى تكون جاهزة ملموسة تأخذ مكانتها اللائقة بها فى البلاد الاسلامية •



للاستاذ صلاح الدين عبدالمجيد

٣ ـ تعدد الزوجات :ـ **ـ ٣ ـ**

شغب المستشرقون وتلاميذهم على الاسلام من هذه الناحية شغبا كبيرا واثاروها ضجة مفتعلة عليه ، وعندما يكون التعصب والغرض والهوى عوامل مسيطرة متحكمة تنقلب المفاهيم فيصبح الصالح طالحا والحسن قبيحا ، ونريد ان نناقش هـذه المسألة مناقشة علمية موضوعية بعيدا عن تأثير هذه العوامل المفسدة للتحقيق العلمي •

وجريا على ما أخذته على نفسي فى هذا البحث من الايجاز والاختصار سأحاول حصر هذا الموضوع ضمن النقاط التالية :ـ

١ ـ من المعروف فى البيئات الغربية التى تحرم تعدد الزوجات انتشار السفاح بصورة وبائية ، ومن النادر جدا هناك ان يقتصر الرجل على امرأة واحدة سواء كان متزوجا او غير متزوج ، أي ان هؤلاء الغربيين الـذين يشنعون على الاسلام اباحته تعدد الزوجات يصمتون صمت ابى الهول ازاء تعدد الخليلات السائد عندهم •

فاى الوضعين خير للمرأة وللمجتمع وايهما اجدر بكرامة المرأة والبق بانسانيتها ان تكون المرأة زوجة شرعية واولادها ينتسبون الى اب معروف ومسؤول عنهم ادبيـا وماديا ام تكون خليلة تلفظ لفظ النواة متى سئم الرجل منها ؟ واما اولادها فليس لهم اب معروف وانما لهم الملاجىء او التشرد ؟ اجيبونا يا من تزعمون انكم حمـاة المرأة وانصارهـا المخلصون •

٢ ـ ان تعدد الزوجات فى الاسلام جائز وليس واجبا كما قد يظن البعض ، أي ليس حتما على كل رجل مسلم ان يتزوج مثنى وثلاث ورباع ، وانما يباح له ذلـك اذا تحقق لديه شرطان : العدل والقدرة على الانفاق • والعدل المقصود هو العدل فى الامور المستطاعـة كالمعاملـة والمبيت والمأكل والملبس والمسكن وغير ذلك ، اما الميل القلبي فليس فى مقدور الانسان لذلك فلا أثم عليه ان مال قلبه الى احدى زوجاتـه اكثر من غيرها •

٣ ـ من صفات الشريعة الصالحة لكل زمان ومكان والقابلة للتطبيق فى شتى الاوضاع والبيئات ان يكون فيها من المرونة ورفع الحرج بحيث تستجيب للحاجات ولا توصد الابواب امام الحالات التى لو كانت استثنائية طارئة وهذه هى الشريعة الاسلامية وهذا مما نفخر به ونحمد الله العلى الحكيم عليه ، فيجب ان نفهم اباحة تعدد الزوجات ضمن هذا الاطار ذلك انه يوجد حالات فردية واجتماعية لا يمكن حلها الا بتعدد الزوجات او يكون الخيار فيها بين تعدد الزوجات وتعدد الخليلات ، ولا يتردد عاقل يريد الخير لامته ومجتمعه فى اختيار تعدد الزوجات على تعدد الخليلات ، ونذكر فيما يلي على سبيل المثال لا الحصر هذه الحالات :ـ

أ ـ زيادة عدد النساء على الرجال وهذا ما هو واقع فى بعض الاقاليم بصورة طبيعية لزيادة نسبة الاناث على الذكور فى الولادات ، وهذا ما يحصل بصورة حادة اثناء الحروب التى يكون الرجال وقودا لها عادة وتصبح نسبة الرجال الى النساء واحد الى خمسة او واحد الى عشرة كما هو الحال فى الاقطار الاوربية بعد ما خاضت فى ربع قرن حربين طاحنتين •

عندما يواجه مشرع هذه الحالة هل تراه واجدا حلا افضل واحكم من تعدد الزوجات ؟ هل هناك بديل لهذا الا ان تبقى اعداد كبيرة من النساء بلا زواج محرومات من حق الزوجية والامومة يعشن حياتهن كلها عانسات تعسات ؟ والبديل الآخر هو التمرد على هذا الحكم الجائر والاستجابة لنداء الغريزة بغير الطريق المشروع •

ومنطق الواقع هو دائما اقوى من خيال الحالمين •

فى عام ١٩٤٩ تقدم اهالى بون عاصمة المانيا الاتحادية بطلب الى السلطات المختصة يطلبون فيه ان ينص فى الدستور الالماني على اباحة تعدد الزوجات[١] •

وجاء فى جريدة الاهرام بتاريخ ١٣ ديسمبر ١٩٦٠ انه قد [اكتشفت وثيقة بخط مارتن بورمان نائب هتلر كان قد كتبها عام ١٩٤٤ يقول فيها ان هتلر كان يفكر جديا ان يبيح للرجل الالماني الزواج من اثنتين شرعا ، لضمان مستقبل قوة الشعب الالمانى] •

(١) الدكتور محمد يوسف موسى في احكام الاحوال الشخصية ١٢١ طبعة ٢ •

وسبق ان حاول ادوارد السابع مثل هذه المحاولة فاعد مرسوما يبيح فيه التعدد ولكن مقاومة رجال الدين قضت عليه[٢] •

ولمواجهة هذا الواقع بالنظر لمنع تعدد الزوجات قامت جمعيات في المانيا بعد الحرب الثانية بالمناداة بجعل الزواج بالتناوب بين النساء أي ان الرجل يكون زوجا لامرأة لفترة معينة ، ثم يتركها لاخرى وهكذا • الا يدعو هذا الامر على طرافته الى الرثاء ؟

ويرى بعض الباحثين ان احد اسباب قوة المسلمين ومقدرتهم على خوض حروب طاحنة متتالية وعلى جبهات متعددة في صدر الاسلام هو تعدد الزوجات الذى امدهم بافواج تلو افواج من المجاهدين •

ب ـ في بعض الاوقات وفي بعض الاقاليم حيث تكثر الاراضي الزراعية الخصبة والمياه الوافرة والثروات الخام على سطح الارض وفي جوفها وتقل الايدى العاملة يتطلب العمران ايجاد هذه الايدى العاملة فتعدد الزوجات في هذه الحالة ضرورة اقتصادية لتحقيق ذلك •

جـ ـ اذا كانت الزوجة عقيمة مما لا يرجى معه الانجاب وكان الرجل قادرا على الانجاب فما هو الحل في هذه الحال ؟ هل نحكم على الرجل بالحرمان من الاولاد على رغبته الشديدة منهم ؟ هل يطلق زوجته ويتزوج غيرها ؟ مع رغبته ورغبتها في البقاء تحت سقف الزوجية ؟

اليس الحل الامثل ان يجمع معها زوجة اخرى ؟

د ـ كذلك اذا كانت الزوجة مريضة مرضا مزمنا يمنعها من القيام بواجبات الزوجية ، الحضارة الغربية تبيح الزنا وتيسره للرجل في مثل هذه الحال وفي كل الاحوال ، وسدنة الحضارة الغربية عندنا يريدون منا ان نسير في نفس الطريق ولو الى الهاوية •

اما الاسلام فيرفض الزنا رفضا قاطعا ولا يقبل الا بالطريق الشرعي النظيف

---

(٢) العقاد في حقائق الاسلام واباطيل خصومه ص١٧٧ •

للاتصا ل الجنسى بين الرجل والمرأة •• طريق عمارة البيوت وانشاء الاسر لا طريق النزوة الحيوانية العابرة •

٤ ـ **قلنـا ان تعـدد الزوجات فى الشريعة الاسلامية** مباح وليس واجبا ، أي كقولك يسمح للمرء ان يسافر الى العاصمة مثلا فهذا لا يعنى ان على كل فـرد ان يسافر ، اما الذين يريدون ان يمنعوا تعدد الزوجات فمثلهم مثل من يريد ان يمنع السفر الى العاصمة على رغم الحاجة او الضرورة ، ان الاباحة تعني الحريـة والمنع يعني القيد فلماذا يطالبون بالقيد ؟

اذا رضيت المرأة بمحض اختيارها وارادتها ـ فالاسلام يقطع بأنه لا يحق لاحد كائنا من كان ان يجبر المرأة على الزواج الا برضاها ـ نقول اذا رأت المرأة انه خير لهـا ان تشارك امرأة اخرى في زوج لان ذلك افضل من بقائها عانسا مدى الحياة فلماذا يا ترى تمنعها من ذلك بقانون ؟

٥ ـ وكلمة اخيرة نقولها فى هذا الباب ، ان الضجة التى تثار من الحين والحين هنا وهناك من قبل اوساط لا اتردد فى القول بانها مشبوهة والتى تطالب بتشريع قانون يمنع تعدد الزوجات او يمنع الطلاق او بمساواة الذكر والانثى بالميراث اقول ليس هـذا سوى الحلقة الاخيرة من سلسلة الحلقات المتابعة فى اقصاء الشريعة الاسلامية واستبدالها بالقوانين الوضعية ، فلم يبق للشريعة الاسلامية من كلمة الا فى جانب ضيق من حياتنا التشريعية هو جانب الاحوال الشخصية لذلك كثر السهام الى هذا الجانب لاخراج الاسلام نهائيا وبالكلية من حياة المسلمين • انـه ليس للمسلمين فى الوقت الحاضر من حق فى بلادهم اكثر من حق اي اقلية تعيش بين ظهرانيهم فان قوانـين البلاد المرعية قد ضمنت لاي اقلية ان تعيش احوالها الشخصية وفقا لعقائدها وتقاليدها، اما المسلمون وهم اهل البلاد والاكثرية الساحقة فيُستكثر عليهم مثل هذا الحق •

٤ ـ الطـلاق :ـ

آخر الدواء الكي ، ينطبق هذا المثل على الطلاق فى نظـر الاسلام فهو العلاج الاخير بعـد ان يجرب المرء كل عـلاج سواه فاذا لم ينفع اي علاج فلا مناص من الطلاق اذ يكون الطلاق فى هـذه الحال بمثابة صمام الامان حتى لا تنفجر الاسرة

وتتهدم على رأس من فيها ، وعندما يستفحل الشقاق بين الزوجين ولا يهدأ الخصام بينهما تصبح حياتهما الزوجية امرا لا يطاق ويصبح بيت الزوجية قيدا ثقيلا وسجنا او اقسى من السجن ، فلا مناص في هذه الحال ـ وبعد فشل كل وسائل التوفيق والاصلاح التي سنها الاسلام ـ من الطلاق بالاسلوب الذي سنه الاسلام لا الذي ابتدعته الجاهلية وفصم عرى الزوجية ، ولا تسد الابواب في وجه هذين الزوجين بعد الطلاق ـ كما تفعل المسيحية اذ تعتبر الزواج الثاني بعد الطلاق نوعا من الزنا[3] ـ وانما يسمح لهما بالزوا جمرة اخرى فعسى ان يوفق احدهما او كلاهما في العثور على شريك يحيا معه حياة زوجية هانئة • وهذا بعض ما يستفاد من قوله تعالى [وان يتفرقا يغني الله كلا من سعته] ـ ٤/١٣٠ ـ فقد قال المفسرون : وذلك بان يرزقها الله من هو خير لها منه ، ويرزقه من هي خير له منها • وذلك اذا لم يكن من الطلاق بد •

الطلاق حلال ولكنه ابغض الحلال الى الله عز وجل كما ورد في الحديث ، وفي حديث اخر يندد الرسول الكريم بالذين يطلقون لا لشيء الا لتجديد المتعة اللذة ولتذوق طعم جديد :[تزوجوا ولا تطلقوا فان الله لا يحب الذواقين والذواقات]•

ان الاصل في الزواج الاسلامي الاستمرار والاستقرار ذلك ان الهدف الاسمى من الزواج هو انجاب الاطفال وتربيتهم تربية صالحة ، ولا يتم ذلك الا في ظل اسرة مستقرة تشيع في اجوائها المودة والرحمة • ومن هنا حرم الاسلام الزواج الموقت (زواج المتعة) • على ان مزية الاسلام الكبرى جمعه الفريد بين المثالية والواقعية ففي ذات الوقت الذي يعمل فيه الاسلام على رفع معتنقيه الى مستوى سامق من الخلق الرضى لا يغفل واقعه البشرى وما تشوبه من نقائص لذلك كان صالحا للتطبيق العملي في كل البيئات وفي جميع الاوقات ، فالاسلام اذ يربي اتباعه على التسامح والاغضاء عن الاخطاء وخاصة بين الازواج ، واذ يضع الحلول العملية لتلافي المشاكل قبل استفحالها الا انه في نفس الوقت لا يرى مفرا من فسح المجال لفصم عرى

---

(٣) جاء في انجيل مرقس : [من طلق امرأته وتزوج باخرى يزني بها ، وان طلقت امرأة زوجها وتزوجت بآخر تزني] • الاصحاح العاشر/١١ •

الزوجية عندما يكون هذا الفصم هو المخرج الوحيد من حياة لا تطاق ٠

فالاسلام يدعو الزوج الى الابقاء على رابطة الزوجية حتى فى حالة كراهيته لزوجته اذ ليس كل البيوت تبنى على الحب فهناك المروءة وهناك المصلحة المشتركة وهناك الالام والامال الواحدة قال تعالى [٠٠ وعاشروهن بالمعروف فان كرهتموهن فعسى ان تكرهوا شيئا ويجعل الله فيه خيرا كثيرا] ـ النساء /١٩ ـ

وقال صلى الله عليه وسلم :ـ (لا يفرك ـ اى لا يفض ـ مؤمن مؤمنة ان كره منها خلقا رضى منها اخر) رواه احمد ومسلم ٠

وقد يظن البعض ان الطلاق كلمة حصر بسيطة يطلقها الزوج عند اول هفوة او نزوة وينتهى كل شيء وهذا وهم شائع ، فالطلاق فى الاسلام ليس بهذه البساطة وانما هو نظام كامل له اصوله وتفاصيله ، والتفاصيل تطلب فى كتب الفقه وسنحاول هنا ان نمر سريعا على الأصول والضوابط :ـ

١ ـ اذا وقع نشوز من قبل الزوج او من قبل الزوجة او كان الشقاق والخصام بين الزوجين فقد هدانا القرآن الكريم الى خطوات يجب الاخذ بها قبل الاقدام على الطلاق ، ففى حالة نشوز الزوجة امر الزوج ان يعظ الزوجة او بعبارة اخرى ينصحها ويرشدها ويذكرها بحقوقه عليها ولا يدخر وسعا فى ذلك ، وان لم ينفع ذلك فالهجر فى المضاجع حتى يشعرها بقدرته على ضبط نفسه وبذلك يفل سلاحها ويقلل من استعلائها عليه ، وا نلم ينفع كل هذا فالضرب غير المبرح [واللاتى تخافون نشوزهن فعظوهن واهجروهن فى المضاجع واضربوهن فان اطعنكم فلا تبغوا عليهن سبيلا ان الله كان عليا كبيرا] ـ النساء /٣٤ ـ ٠

واما اذا كان النشوز من جانب الزوج فعلى الزوجة ان لا تألو جهدا فى الابقاء على الرابطة الزوجية وذلك بمعرفة سبب هذا النشوز ومحاولة العلاج بما تملك من وسائل : (وان امرأة خافت من بعلها نشوزا او اعراضا فلا جناح عليهما ان يصلحا بينهما صلحا والصلح خير ، واحضرت الانفس الشح وان تحسنوا وتتقوا فان الله كان بما تعملون خبيرا) ـ النساء /١٢٨ ـ ٠

واذا كان النفور من قبل الزوجين معا فهو الخصام والشقاق ، وفى هذه الحال

ندب الاهل الى التدخل لاصلاح الامور بين الزوجين واعادة الصفاء والوئام • واذا حسنت النوايا فعسى الله ان يوفقهم فى مساعيهم الحميدة :

[وان خفتم شقاق بينهما فابعثوا حكما من اهله وحكما من اهلها ان يريدا اصلاحا يوفق الله بينهما ان الله كان عليما خبيرا] ـ النساء /٣٥ ـ •

٢ ـ الطلاق نوعان : سنى وبدعي ، والسنى هو الذى سنه الاسلام والبدعي هو ما خالف هذه السنة ، والفقهاء ازاء الطلاق البدعي فريقان ، فريق قال بوقوع هذا الطلاق مع اثم صاحبه والفريق الثاني قال بعدم وقوعه •

والطلاق السنى ان يقع كآخر علاج بعد استنفاد الوسائل آنفة الذكر ويجب ان يقع والزوجة فى طهر لم يمسها الزوج فيه فلا يجوز ان يطلقها وهى حائض ولا فى طهر قد جامعها فيه ، ويطلقها تطليقة واحدة ـ والطلاق الثلاث فى مجلس واحد هو من نوع الطلاق البدعي ـ وبعد الطلاق تدخل الزوجة فى العدة وهى ثلاثة اشهر او ثلاثة قروء (القروء تطلق على الحيض كما تطلق على الطهر) • او الى وضع الحمل بالنسبة للحوامل •

وفى العدّة تبقى الزوجة فى بيت الزوجية ولكن لايعاشرها الزوج معاشرة الازواج الا اذا راجعها ، واذا انقضت العدة ولم يراجعها اصبحت اجنبية عنه لا تحل له الا بمهر وعقد جديدين • واذا راجع زوجته اثناء العدّة واستأنف معها حياة جديدة ثم عادت رياح الشقاق الى هذا البيت من جديد واستأنف معها كل احكام الطلاق ومقدماته التى سبق ذكرها حتى اذا طلقها ثانية ودخلت فى العدة للمرة الثانية كان له حق رجعتها مرة اخرى ، فاذا ردها ثانية اثناء العدة كان معنى ذلك انه استنفد المرتين المقررتين له فى قوله تعالى (الطلاق مرتان فامساك بمعروفٍ او تسريح باحسانٍ) البقرة /٢٢٩ •

وليعلم ان زوجته ستبين منه بينونة كبرى اذا طلقها بعد ذلك لا تحل له الا بعد ان تتزوج من غيره زوجا حقيقيا لا صوريا اى بغير ارادة التحليل فقد سمى الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم المحلل بالتيس المستعار فقال (الا اخبركم بالتيس المستعار ؟ قالوا بلى يا رسول الله قال هو المحلل •• لعن الله المحلِل والمحلَل له) رواه ابن ماجة والحاكم •

٣ ـ لا يقع طلاق المكره والسكران (عند جمهور الفقهاء) والغضبان والمدهوش

الذى لا يدرى ما يقول لصدمة اصابته ، وكذلك لا يقع طلاق المجنون والمعتوه والمغمى عليه والذى يهذى من الحمى او غير ذلك من الحالات التى قد يلفظ فيها لفظة الطلاق دون ان يقصده ، كذلك الحلف بالطلاق يعتبر لغوا ولا كفارة فيها او فيها الكفارة ولكن لا يقع الطلاق ، وكذلك ان قال يلزمني الطلاق ان فعلت كذا او ان لم افعل كذا او قال لامرأته انت طالق ان فعلت كذا او تركت كذا فلا يقع الطلاق حتى وان لم تحقق مطلوبه فى كل هذه الاحوال على ارجح الاقوال •

ينقسم سدنة الحضارة الغربية عندنا ازاء مسألة الطلاق الى فريقين فريق يطالب باصدار قانون يمنع فيه الطلاق وهؤلاء يريدون تطبيق التعاليم المسيحية فى هذا المجال، ونريد ان نرد على هؤلاء ردا مختصرا : ان كل الاقطار التى تدين بالمسيحية ـ واخرها كانت ايطاليا معقل الكثلكة ـ قد اباحت الطلاق فى قوانينها فماذا يعنى هذا ؟ يعنى ببساطة انك لا تستطيع بقانون ان تجبر زوجا وزوجة ان يعيشا معا على رغم انف احدهما او كليهما • على ان منع الطلاق اذا طبق له آثار سلبية خطيرة لعل ابرزها العزوف عن الزواج اذ يشعر الرجل ان الزواج قيد حديدى وغل ثقيل لا يمكنه الفكاك منه بأي حال من الاحوال • او تأخيره ـ أي الزواج ـ على الاقل ، وكذلك حصول ما يمكن ان يسمى بزواج التجربة اي يعاشر الرجل ـ وكذلك تفعل المرأة ـ احدهما الآخر معاشرة الأزواج بصورة غير شرعية الى ان يعثرا على الزواج المنشود ، والذى يدفعهما الى ذلك ان عقد الزواج عقد ابدي لا يمكن التراجع فيه ، واخيرا وليس آخرا انتشار الفاحشة اذ ان الزواج الفاشل الابدي يؤدي حتما الى ان ينشد الرجل بغيته عند امرأة اخرى غير زوجته وكذلك تفعل المرأة •

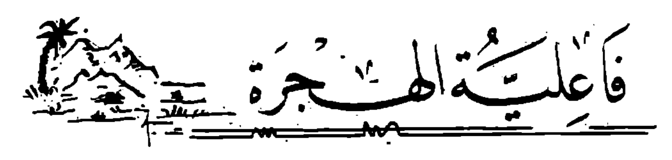
سيقولون قد يساء استخدام هذا الحق فيطلق الرجل زوجته لغير ما سبب او لمجرد انه سئم منها ، ونحن نقول أي حق فى الدنيا لا يساء استخدامه ؟ فليس من المعقول الغاء كافة الحقوق وجعل الانسان يقاد كالبهيمة بعصا القانون • اننا ان اردنا منع التعسف فى استعمال الحق لا نعمد الى الغاء هذا الحق بقانون وانما علينا بالتربية والتهذيب لمنع هذا التعسف ، وهذا ما فعله الاسلام فان للاسلام وسيلتين لا وسيلة واحدة لتحقيق مقاصده فى جميع جوانب الحياة لا فى الحياة الزوجية فقط هما التشريع والتوجيه او القانون والتربية ، ومن هنا وجدنا الاوساط التى تسودها الاخلاق

الاسلامية والمتمسكة باهداب الدين هي اقل الاوساط لجوءاً الى الطلاق •

والفريق الثانى يطالب بجعل الطلاق بيد الرجل والمرأة معا ، ونقول لهؤلاء ان الاسلام قد جعل الطلاق بيد الرجل لاسباب منها : ـ ان الرجل هو الذى ينفق على هذا الزواج وهو الخاسر بالطلاق اذا تذكرنا ما دفعه من مهر معجل وما عليه ان يدفعه من مهر مؤجل ونفقة لزوجته اثناء العدة ، وكذلك ما يلزم من مصاريف ومهر لزواج جديد لذلك فانه يفكر مرات لامرة واحدة قبل الاقدام على الطلاق ، واذا اضفنا الى ذلك ما يعهد فى الرجل ـ عادة ـ من تغليب العقل على العاطفة وعدم التسرع فى اتخاذ المواقف واصدار القرارات وعلى العكس من ذلك ما يعهد فى المرأة عادة ـ من عاطفية وتقلب وتسرع ونسيان الحسنات دفعة واحدة عند اول اساءة فاذا اساء اليها الرجل اساءة واحدة تقول ما رأيت منك خيرا قط • ولكل هذه الاسباب وهى اسباب وجيهة عند ذوي الالباب جعل الاسلام الطلاق بيد الرجل •

واقوى دليل على حكمة الاسلام فى هذا ان الاقطار التى اباحت قوانينها الطلاق وجعلته بيد الرجل والمرأة معا ارتفعت فيها نسبة الطلاق ارتفاعا مخيفا وصل الى ٤٠٪ فى بعض الاحيان ولو قارنا هذه النسبة بنسبة الطلاق عندنا لوجدناها نسبة ضئيلة جدا بالقياس اليها • سيقولون وما تفعل المرأة اذا ارادت الانفصال عن زوجها لسبب ما ؟ هل نسمح للزوج ان يبقيها فى عصمته وانفها راغم ؟ ونقول ان الاسلام قد وضع لكل مشكلة حلا عادلا ففى مثل هذه الحالة هناك (الخلع) وهو طلب الزوجة فراق زوجها لقاء مال تفتدى به نفسها واصل الخلع فى القرآن الكريم : [ولا يحل لكم ان تأخذوا مما اتيتموهن شيئا الا ان يخافا الا يقيما حدود الله ، فا ن خفتم ان لا يقيما حدود الله فلا جناح عليهما فيما افتدت بـه] ـ البقرة /٢٢٩ ـ واصل الخلع فى السنّة ما رواه البخارى والنسائى عن ابن عباس رضى الله عنهما [جاءت امرأة ثابت بن قيس الى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقالت يا رسول الله ما اعتب عليه فى خلق ولا دين ولكني اكره الكفر[٤] فى الاسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : أتردين عليه حديقته ؟ قالت نعم • فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم اقبل الحديقة وطلقها تطليقة] •

(٤) كانت تكرهه لدمامته فكانت تخشى ان تحملها هذه الكراهية على التقصير في حقه وهذا معنى قولها اكره الكفر في الاسلام اى كفران العشير •



فاعلية الهجرة

بقلم : أحمد عبدالرحيم السايح

لقد كانت هجرة الرسول الامين صلوات الله وسلامه عليه من مكة الى طيبة المدينة طريقا لا بد ان يعبره هو واصحابه الذين آمنوا برسالته ..

ليس فراراً من الوثنية ، والضلال، والانحراف .. وليس هروبا من المواجهة..
وليس خوفا من دعاة التسلط ، والقهر ، والصلف ، والغرور ..

وليس بعدا عن الواقع المر ، وما فيه من تناقض ، وعنت ، وتخريف ..

ولكن .. كانت الهجرة سبيلا الى العزة والحرية والكرامة .. وفى الوقت نفسه . كانت دعوة بناءة تريد أن تكون حدثا فريدا من الاحداث الاسلامية الكبرى . التى يجب أن تظل فى قلوب الامة .. حاملة اليهم القوة والحركية والفاعلية ..

وأريد للهجرة أن تكون .. لتظل أبد الدهر ، حركة رائدة للتحول من الضعف الى القوة ، ومن التردد الى اليقين ، ومن الذوبان الى الاصالة ، ومن الانسلاخ الى العودة ،. الى أصول الايمان ..

وكانت الهجرة بما توفر لها من التضحية ، والايمان القوى .. تحولا خطيرا فى مجال تحرك أهل الايمان نحو الهدف الاسمى ، فى اطار قابل للتكييف حسب مايتفق مع متطلبات الامة الاسلامية ..

ولا شك ان فى الهجرة دروسا لاهل الايمان ، وقد يجد كثير من الناس فى الهجرة عظات بالغات ، وهدى يعود بهم الى رحاب الايمان ، وبرد اليقين ..

والايمان هو الذى جعل المسلمين تهون فى أعينهم الدنيا بما فيها ، ولهذا استهانوا بكل غال ونفيس .. وقد لاقوا آلاما شديدة .. ولكن حلاوة الايمان فوق كل اعتبار ..

والايمان هو الذى كون النفوس وبناها على الحب ، والاخلاص ، والصدق ، والمساهمة فى الاخذ بيد الانسانية المعذبة ..

واذا عمر القلب بالايمان بالله ورسوله واليوم الآخر ، وتزكت النفوس بتعاليم الحق ، واطمأنت القلوب لمنهاج الرحمن .. كان المسلمون قوة لا تدانيها قوة ..

والايمان نور يلامس القلوب •• فيملؤها بالاطمئنان ، والامن ، والسلام •• كما أنه سمو بالانسان من الحيوانية الى مراقى الانسانية •• وما قيمة الانسان وهو يتردى الى درك الحيوانية ؟ أو هو يتخبط بين جدران الانسلاخ، ويذوب فى الجاهلية الجهلاء ••

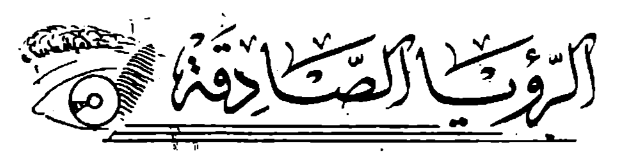
وقد التقى المسلمون المهاجرون والانصار •• على الايمان بالله •• ولهذا كانت أخوة العقيدة أقوى من أخوة النسب ••

وقام الاسلام على رجال أهل الايمان ، وتدعمت أركان الدولة الاسلامية على قوة النفوس المؤمنة •• التى تتحرك لتغرس بذور الخير فى الافئدة • وتعمل على التطهير ••

والهجرة تعلم المسلمين •• أن الشر جامح ، والباطل متسلح ، والصراع من طبيعة الحياة •• والنصر لجند الله •• قال تعالى : « ولقد سبقت كلمتنا لعبادنا المرسلين أنهم لهم المنصورون وان جندنا لهم الغالبون » •

وصـــية

قال رجل لعبدالله بن المبارك أوصني فقال : اترك فضول النظر توفق للخشوع واترك فضول الكلام توفـق للحكمة واترك فضول الطعـام توفـق للعبـادة واترك التجسس على عيوب الناس توفق للاطلاع على عيوب نفسك واترك الخوض فى ذات الله توق الشك والنفاق •



بقلم : اللواء الركن محمود شيت خطاب

- ١ -

ماتت وهي أحوج ما تكون إلى الموت ، فقد عانت سنين طويلة آلاما مبرحة لا تكاد تطاق من فقرات ظهرها ، وكانت الآلام تشتد ليلا فتحرمها النوم ، وما أطول الليل على من لم ينم !

وقبل سنة تقريبا كنت في زيارة زوجها ، فجاءت على استحياء لتقص علي هذه الرؤيا ، وهي تغالب النعاس والوهن .

قالت : رأيت ليلة أمس فيما يرى النائم ، شيخين صالحين يبدو عليهما الورع والتقوى ، يشع من وجهيهما النور ، كأنهما بدران يتألقان . قال الاول يا ابنتي ! لقد تعبت كثيراً وأمضك الالم ، وأنت بحاجة الى الراحة الطويلة في مستقر مريح ، فتعالي واستقري هنا ـ وأشار الى مكان يجاور مكانه الذي هو فيه ـ لتستريحي ، ولن تعاودك الآلام في هذا المكان أبدا .

وقال الثاني : يا ابنتي ! سأكون في عونك حين تكونين بحاجة الى العون ، ولن أنساك أبدا .

كانا يخاطباني كما يخاطب الأب الحنون ابنته الوحيدة ، بل كانا أشد حنانا من الاب الحنون .

ولكنني لم أكن اعرفهما ، ولم يسبق لي رؤيتهما من قبل .

وقلت لهما بكل أدب وبلهجة تنم عن اعترافي لهما بالجميل : انني ممتنة من عطفكما الابوي ، فهل لي أن أعرف من أنتما ؟

قال الاول : انا الشيخ عبدالقادر الكيلاني .

وقال الثاني : انا أبو أيوب الانصاري .

قالت تلك التي تحدثني عن رؤيتها ؟ واستيقظت وأنا مستبشرة بهذه الرؤيا العجيبة .

وسألتنى : فما تعبير رؤياى ؟

قلت لها : ان رؤية الصالحين فى المنام واليقظة خير وبركة ، فعسى أن يهبك الله الصحة والعافية ، وينالك من الله خير قريب •

ويومها استقر فى نفسى ، أنها سترحل الى العالم الآخر ، فتستريح الراحة الابدية ، حيث لا آلام ولا شكوى •

ولكنى لم استطع ان ابوح لها بما استقر فى نفسى ، فسكتُ وسكتَتْ وسكتَ معنا زوجها والحاضرون •

- ٢ -

كانت صاحبة الرؤيا قبل خمسين عاما خلت فى ريعان الصبا ، تعيش مع أهلها فى مدينة اسلام بول (اسطنبول) ، مليئة بالحيوية والنشاط ، تتحلى بالجمال الخارق والخلق المتين •

وكان زوجها البغدادى فى تلك الايام فى ريعان الصبا ، يملأ الاعين بطوله الفارع وقامته المديدة ، فقد آتاه الله بسطة فى الخَلْق ، ودماثة فى الخلق ومنظرا خلابا ، ومخبرا صافيا •

وكان الشاب يدرس فى مدينة الفتاة (اسلام بول) العلوم العسكرية الفنية ، وكان يذهب الى كليته فيراها فى طريقها الى مدرستها ، فعزم على أن يتزوج بها ، ودعا الله أن يحقق له أمانيه •

واستجاب الله دعوته ، وحقق أمنيته ، فوافق أبواها على زواجها به ووافقت •

وحين أكمل الشاب دراسته عاد الى بغداد ، وقدمت العروس بغداد ايضا ، وقدم معها أبوها الشيخ ، وفى بغداد أكملا مراسيم الزواج فى دار متواضعة بسيطة •

وعاشا سعيدين فى تلك الدار المتواضعة البسيطة ، فى احدى محلات بغداد القديمة ، وبغداد فى العشرينات ، غير بغداد فى السبعينات •

وكان أبوه الشيخ وأمه يعيشان معهما فى تلك الدار ، وكانا قد بلغا من العمر عتيا •

وعكفت العروس على خدمة الوالد والوالدة ، وكانت وحدها فى الدار مسئولة عن كل متطلباته ، ولم يكن معها أحد يساعدها ، لكنها نهضت بأعباء الدار ونهضت

بأعباء خدمة الوالدين كأحسن ما يكون النهوض •

وزادت أعباؤها بمرور السنين ، فأصبحت أُمّاً : لها بنات وبنون ، ومع ذلك لم تتهاون قط فى خدمة والدَىّ زوجها الشيخين ، بل ضاعفت جهودها فى خدمتهما •

وانتقلت العائلة الى مدينة الموصل ، وهناك مرض والد الزوج ، وثقل به المرض فمات بين يدى الزوجة البارة ، وكانت آخر كلماته حين حضرته الوفاة : الله يرضى عنك يا ابنتى ، ويستر عليك •

خدمته اكثر مما خدمه ابنه وزوجته ، وعذر ابنه أنه مشغول بوظيفته ، متنقل من مكان الى مكان ، وعذر زوجته أنهـا هى الاخرى شيخة أثقلت السنون كاهلها ، وهى تحتاج الى خدمة غيرها ، غير قادرة على اسدائها لغيرها •

وانتقلت العائلـة بعـد حين من الموصل الى بغداد ، وهناك مرضت العجوز أم الزوج ، فخدمتها خدمة الابناء البررة ، وتركت سريرها فى غرفة زوجها ، وانتقلت الى غرفة المريضة ، حتى توفاها الله ليلا بين يديها ، فلم تخبر زوجها بموت أمـه ، وانتظرت حتى استيقظ كما يستيقظ كل يـوم • وحين كانت الام تعالج انفاسـها الاخيرة ، رفعت يديهـا الى السماء تدعو : يا رب ! اننى راضية عن زوجة ولدى ، فارض اللهم عنها وألبسها العافية والستر •

لست أنسى حديثها الحنون المستمر الدائب عن والدى زوجها ، وتوجعهـا الشديد لوفاتهما ، ودعواتها المتكررة لهما بالجنة والمغفرة والرحمـة ، فما ذكرتهما مرة الا واغرورقت عيناها بالدموع الحِرار •

ان شفقتها وحنانها أصيلان ينبعان من صميم فؤادها ، وشعورها الانسانى الحى طبيعى يتدفق كما يتدفق المـاء من الينبوع او فى النهر طبيعيا لا تكلف فيه •

- ٣ -

وتسنم زوجهـا أعلى منصب رفيع فى صنفه ، وأصبح المرجـع الاعلى لذلـك الصنف ، وكانت اشغاله الرسمية كـثيرة تملأ وقته ، ولكنه كان يختلس الوقت من أوقاته المزدحمة ليخدم الناس ويعبد الله •

واتصلت اسبابى باسبابه فى الاربعينات من هذا القرن ، فقد جاءنا مفتشا لكتيبة

الخيالة التي كنت انتسب اليها ، وكنت حينذاك ضابطا صغيرا في صنف الخيالة ، وكان ضابطا كبيرا يشار اليه بالبنان •

كانت كتيبتنا في معسكر (جلولاء) ، وكان عمل الضابط المفتش الكبير يستمر يومين ، فقضى ليلة في الثكنة التي كنت أعيش فيها ، ونام في غرفة بجوار غرفتي •

وسمعت قراءته للقرآن الكريم في أول الليل ، فاقشعر بدني لخشوعه وحسن تلاوته ، وشعرت بصلاته في الهزيع الاخير من الليل ، فلامس حبه شغاف قلبي ؛ وحين سمعته يرفع صوته باقامة الصلاة في الفجر ، اقتحمت عليه غرفته من غير استئذان واقتديت به • وحين قضيت الصلاة ، سلّمت عليه وسلم ، فعقدت معه صداقة في الله ولله استمرت منذ عرفته تقوى وتشتد ، وتغلغل حبه في قلبي ، حتى اصبحت أوثر زيارته على زيارة كل انسان ، واعتبر تلك الزيارة عبادة من العبادات •

كنت أزوره في مكتبه الرسمي بوزارة الدفاع ، كلما قدمت بغداد من (جلولاء) مجازا اجازة اسبوعية ، فلما انتقلت الى بغداد ازدادت زياراتي له: مرة بواجب رسمي، ومرة للاستفادة منه •

وما زرته يوما ، الا وتعلمت منه جديدا ، وازداد تعلقي به وحبي له واعجابي به وتقديري لسجاياه •

كان اكثر زائريه من غير العسكريين : يطلبون معونته ، ويتوسطون به ، وكانت دائرته الرسمية تعج دوما بالزائرين ؛ فكان يتصدق على الفقير ، ويقضي حاجة المحتاج ، ويواسي الضعيف ، ويدفع الظلم عن المظلوم ، ويهش للجميع : لا فرق بين صغير وكبير ، ولا بين غني وفقير ، ولا بين أجير وأمير •

وكنت أزور ضباطه قبل ان ادخل عليه ، لأسألهم عن هوية زائريه ، وكثيرا ما كنت أجد ضباطه واقفين على أقدامهم ، لانهم أعاروا كراسيهم لجلوس الذين قدموا لزيارته ، وكثيرا ما ضاق مكانه بالزائرين ، فاضطر على تنظيم الكراسي للجالسين عليها كما تنظم الكراسي في غرف الدرس في المدارس وقاعات المحاضرات في الجامعات •

ولا يكاد يراني الا ويسلمني قسما من زائريه قائلا : الله أتى بك الآن ! هذا

له معاملة في التجنيد ، وهـذا له قضية في مديرية الادارة ، وهذا ابنه مريض في المستشفى .. أرجوك ان تذهب معهم لقضاء اشغالهم .

ويمضي في سماع طلبات الآخرين ، ويوالى اتصالاته الهاتفية معاونـة لهم ، وهو في خضم هذا العمل الدائب مستغرق لا يكاد يسـمع اعتذارى بان لى عمـلا رسـميا في مكتبى ، بل لا يسـتمع عذرا ولا يقبل معتذرا .. كل همه ان يقضي حوائج الناس .

واذهب مع الذين ارسلهم معى أجوب شرقا وغربا ، فأجد القليل منهم له حق فيما يطالب به ، وأجد الكثير منهم لاحق لهم فيما يطالبون .

وأعود اليه مع الذين لا حق لهم دون ان تقضى حوائجهم ، فأحاول أن أقنعـه بوجهة نظر المعتذرين عن قضاء تلك الحوائج ، فلا يصغى الىّ ، ويشاركهم آلامهم ، أما الذين قضيت حوائجهم ؟ فيذهبون الى بيوتهم ولا يعودون اليه شاكرين !!!

- ٤ -

كان يستبقينى معـه الى ان يخلو مكتبه من الزائرين ، ولا يكاد يخلو قبل ان ينتهى الدوام الرسمى أو تمضى على انتهائه الساعات .

وسمعته يوما من الايام يقول لضابط الرواتب في دائرته : أريد أن تقرضنى خمسة دنانير .

وأقرضه ضابط الرواتب خمسة دنانير ، وكانت هـذه الدنانير الخمسة مبلغا جسيما في الاربعينات ، يوم كان رطل اللحم بثلاثين فلسا وصفيحة السمن الحيوانى النقى بنصف دينار ، والبدلة مع خياطتها بدينارين .

وخرجت معه ليعود الى داره وأعود ، وكنا نسير مشيا على الاقدام ، فلم تكن لكبار الضباط سيارة خاصة ، وكان في وزارة الدفـاع سيارتـان خاصتان : احداهما لوزير الدفاع ، والثانية لرئيس اركان الجيش ؟ وكان للضبـاط الآخرين سـيارات جماعية ، تنقل كل وجبة معينة الى مكان معين في وقت معين .

وكان من عادته ان يقف على الرصيف المقابل لباب وزارة الدفاع ، وكان اكثر اصحاب السيارات الخاصة يعرفونه ويرجون نفعه ، فاذا رأوه واقفا عرضوا عليه ان

يركب معهم ليذهبوا معه الى المثابة التي يريد •

وحين يغادر مكتبه ، لا يقرر أين يذهب ، وليس له مكان يذهب اليه وقتذاك الا داره باتجاه الاعظمية والا مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني رضى الله عنه بالاتجاه المعاكس • فاذا جاءت سيارة باتجاه داره ، وقال له صاحبها : تفضل ! فانه يذهب الى داره ، واذا جاءت سيارة باتجاه مسجد الشيخ الكيلاني وعرض عليه صاحبها الركوب معه ، فرح كثيرا رحمه الله قائلا : سيدنا الشيخ يريدنى !!!

ويوم كانت الدنانير الخمسة فى جيبه ، جاءته سيارة متحركة باتجاه مسجد الشيخ ، فحملته الى هناك •

ودخل المسجد من الباب الصغير ، وكان المسجد فى تلك الايام عامرا بالرجال الصالحين القادمين من مختلف الاقطار الاسلامية : الباكستان ، الهند ، الصين ، تركستان ، المغرب ، يعبدون الله ويجاورون الشيخ المبارك فى مسجده الميمون •

واستدار الى اليمين ، وطرق أول غرفة ودفع لساكنها ربع دينار ، ثم سأله : هل لديه شوربة ، فكان جوابه : أكلناها !

طرق أبواب الغرف كلها ، وكانت عامرة بأولئك الرجال الصالحين : يدفع لكل رجل من ساكنى تلك الغرف ربع دينار ، ثم يسأله : هل لديك شوربة ، فيتكرر الجواب : أكلناها ••• فالشوربة توزع بعد صلاة الظهر مباشرة ، وهو قد وصل الى المسجد الساعة الثالثة مساء ، أي بعد ما يقارب الثلاث ساعات من موعد توزيعها ، فلا شوربة فى ذلك الوقت المتأخر من اليوم •

وأخيرا طرق باب الغرفة المقابلة للمصلى الصيفى ، وكان يسكنها شيخ كبير من الباكستان يعانى المرض والشيخوخة ، ولكن لسانه لا يفتر عن ذكر الله • وسمعنا صوتا ضعيفا خافتا منبعثا من داخل الغرفة : ادخل • ودخلت معه ، فاذا بالشيخ راقداً على فراشه فى غرفته المظلمة ، واذا بصاحبى يدفع له ربع دينار ويواسيه ويشجعه ويطلب منه الدعاء ، ثم يسأله : هل لديك شوربة ؟

وقال الشيخ : لم استطع تناولها لمرضى ، وهى على الرف هناك ! واشار الى مكانها •

واسرع صاحبي الى اناء الشوربة الفخاري المطلي من الداخل بالخزف الاخضر، فحملها بيديه كما يحمل الانسان كنزا من الكنوز الثمينة ، وقال لي : اشرب !

ورأيت الاناء غير نظيف ، والشوربة باردة ، فلم تطاوعني نفسي أن اشرب منها ، ولكن صاحبي القوى ذا الطول الفارع ، قبض على رقبتي بيسراه ، ووضع الاناء في فمي ، وعبّ الشوربة فيه عبا ، حتى ارتشفت منها غير قليل جبرا •

وأخذ الاناء الى فمه ، وظل يترشف من الشوربة حتى أتى عليها ، وكأنه يتناول أشهى طعام في الدنيا• وحين فرغ الاناء مما حواه، أعاده الى مكانه فوق الرف، وحمد الله كثيرا على هذه النعمة السابغة •

وحدثتني نفسي حديثا لم يسمعه أحد ، فقالت : ان صاحبك على غير وفاق مع زوجته ، فلم تعد له غذاءه هذا اليوم ، أو هي خارج الدار فلا طعام لديه ، لذلك فهو يسأل عن الشوربة •

- ٥ -

وخرجنا من مسجد الشيخ الكيلاني بعد توزيع الدنانير الخمسة والمال الذى كان يحمله بالاضافة الى تلك الدنانير ، ووقفنا ننتظر سيارة متجهة نحو (الاعظمية) لتنقلنا الى داره والى داري ، وكنا متجاورين في دارين : داره على سكة حديد الصرافية على الطريق المتجهة نحو اليمين ، وداري على تلك السكة على الطريق المتجهة نحو اليسار ، بالنسبة للطريق العام الذى يتجه نحو الاعظمية •

ولم يطل انتظارنا ، فصاحبي ذو مكانة ، يرجى خيره ، ولا يخشى شره •

وغادرنا السيارة في ملتقى طريق باب المعظم ـ الاعظمية بسكة حديد الصرافية ، فمددت يدي مودعا ، وكانت الساعة قد قاربت الخامسة مساء ، وكان أهلي ينتظرونني، ولكنه سحبني سحبا الى داره ، وقال : تعال نتغدى معا •

واستقبلته زوجته مرحبة ، وكانت عليها رحمة الله ، لا تتناول الطعام الا معه ، تنتظره مهما تأخر موعد عودته الى الدار ، وتحسب ان تناولها الطعام قبله عقوقا له وانتقاصا من حقه عليها •

وبادرها قائلا : ان معي ضيفا ، وهو واقف بالباب •

ودخلت الدار ، وجلست في غرفة الضيوف لحظات ، فكنت أرى وجهي مرتسما على مساند الارائك اللماعه من شدة النظافة ، واجد رائحة عطرية تنبعث من أرجاء الغرفه ، وأرى الطنافس تزهر كالورد من نظافتها •

ولم البث الا قليلا في غرفة الضيوف ، ثم سمعت صوته يقول : تفضل •

ودخلت غرفة الطعام ، فوجدت طعاما معدا لم أر مثله من قبل ولا من بعد ، في تعدد ألوانه ونفاسة طهيه وترتيبه على المائدة ، والازهار التي حوله ، والمشهيات والمقبلات التي تحف به •

وابتدأنا بالشوربة التي لم أذق ألذ منها حتى اليوم ، ثم ثنينا وثلثنا ، وربعنا في أطعمة شهية ، ويكفي أن أذكر انه كان على المائدة ستة أنواع من المقبلات (الزلاطة)•

حينذاك علمت ، أن الرجل كان يفتش عن الشوربة في غرف الصالحين في مسجد الشيخ الكيلاني ، للبركة والتبرك بها ، لا ليشبع بطنه من سغب وجوع ، فهي شوربة معنوية في حسبانه ، لا صلة لها بالمادة وأثرها المادي •

- ٦ -

وقضى المدة المقررة له في الجيش فخرج منه ، واستقر في داره متقاعدا ، فانفض عنه من كان يعتبرهم من أخلص اصدقائه •

لقد كان يعتبرهم اصدقاء ، ولكنهم كانوا اصحاب مصالح ، فكانوا يحيطون به احاطة السوار بالمعصم : يظهرون له الود ، ويتسابقون في اطرائه ، ويسمعونه ما يشتهي ان يسمع ، لانه كان يقضي مصالحهم الخاصة • فلما اصبح متقاعدا ، لا يضر ولا ينفع ، تخلّوا عنه ، فخلت داره من الزائرين ، وأصبح وحيدا لا يؤنسه غير زوجته وذوي قرباه •

ولكنه لم يتغير أبدا ، وظل سعيدا مرتاح الضمير •

ودأبت على زيارته اكثر من قبل ، فقد كنت أحبه لله ، والله باق ، ومزاياه الشخصية التي أحببته من أجلها باقية ، بل انها ازدادت في نظري كثيرا ، لان الوحدة وتوجهه بكل طاقته لله ، اكسباه اشعاعا روحانيا لايوصف وكسياه نورا سرمديا ساطعا •

وكلما ازداد عزلة ، ازددت به صلة ؛ وكلما ابتعد الناس عنه ازددت منه قربا ،

وكنت ولا أزال أشعر بلذة معنوية لا حدود لها كلما ازددت به التصاقا .

خرج من الجيش وهو لا يملك غير راتبه التقاعدى ودار متواضعة ، وكان بأمكانه ان يحرز الملايين ، لانه كان فى مركز مرموق يغدق على صاحبه المال بغير حساب .

ولكنه عفّ عفافا مثاليا ، والعفاف فى القادرين قليل .

وبعد مدة قليلة من تقاعده باع بيته ليعين بثمنه أولاده على اكمال دراستهم وعلى تحمل اعباء الحياة ، فبقى معدما لا يملك دينارا ولا دارا .

والعجيب من أمره ، أنه كلما ازداد فقرا ، حمد الله وشكره وبالغ فى الحمد والشكر ، وارتحل الى خارج البلاد ليكون الى جانب ولده الذى يدرس هناك ، وبعد سنوات عاد الى وطنه، فاستقر فى دار متواضعة جدا ، استأجرها بثلث راتبه التقاعدى ، وعاش ومن يعول بالثلثين الباقيين عيش الكفاف .

وغادرت البلاد الى مصر بمهمة علمية استمرت خمس سنوات ، فكانت الرسائل بيننا تترى ، وكان شوقى اليه فى كل يوم يزداد .

وعدت الى الوطن ، فكان أول ما قمت به بعد عودتى زيارته ، وكان لقائى به من اسعد الاوقات .

وكان مريضا يوم عدت الى العراق وكنت مريضا ، فما زرته مـرة الا شعرت ان وطأة مرضى تخف والا شعر ايضا ، حتى تماثل للشفاء .

وكان أصحابي من ارباب السيارات حين يزورونني يقولون ، ألا تبرح الـدار لترفه عن نفسك شيئا قليلا ؟ !

وأقول لهم : دعونا نرفه عن انفسنا بجولة روحانية .. هلموا بنا الى دار الرجل المبارك فلان ..

ونزوره فى داره ، فيهش لنا ويبش ، والمسافة بين دارى فى (اليرموك) وداره فى (الاعظمية) ذهابا وايابا تقرب من اربعين كيلو مترا !

بعد عام من عودتى الى العراق ، حدثتنى زوجته بتلك الرؤيـا الصادقـة التى

قصصتها عليك في صدر ما قرأت •

وازدادت آلامها ، فنصحها الاطباء بازدراد حبات مهدئة ، وهي حبات تخدر ولا تشفي ، وتخرب ولا تبني : تهـدىء النفس ساعات وتحطمها سنوات ، وتطمئن المريض ساعة وتستثيره الى قيام الساعة •

واخـذت تذوى وتذبل ، وبـدأت تذوب كما تذوب الشـمعة ، لكنهـا بقيت حريصة على أداء واجباتها البيتية كأحسن ما يكون الاداء ، قائمة على خدمة زوجها كأفضل ما يكون القيام •

وازداد لونها امتقاعا ، وازداد وجهها اصفرارا ، وتضاعف ارتجـاف يديهـا وساقيها ، وانحنى قوامها الى أمام ، واصبح صوتها ضعيفا •

كان كل شيء في بدنها يسير رويدا رويدا الى الانحلال ، ولكن عقلها بقي سليما، ومنطقها بقي متزنا ، ومعنوياتها بقيت عالية •

وفي يوم الاربعاء (٢٠ ذو القعدة ١٣٩٤ ــ ٤ كانون الاول ١٩٧٤) جاءها الأجل الموعود ، فذهبت الى جوار الله •

في صباح ذلك اليوم الكئيب الذى لن انساه ابدا ، اتصلت هاتفيا بزوجها ، فقال لي : زوجتي مريضة اكثر من السابق •

وقلت له : سأحضر فورا الى دارك •

واتصلت بجار صديق يمتلك سيارة ، فجاءني وذهبت مسرعا الى الاعظمية ، فلما دخلت داره رأيته كعادته مسرورا متفائلا •

لم يتطرق ابدا الى وضع زوجته الصحي ، وتدفق في حديث روحاني متصل ، كأن شيئا لم يحدث ، فقلت له : وكيف حال زوجتك ؟

قال : في الغرفة المجاورة ، تعاني آلاما مبرحة من مرضها الشديد ،

ونهضت لأراها ، فاذا هي مسجاة على سريرها ، لا تكاد تشعر بما حولها ، ينبعث منها أنين خافت ضعيف •

وذهبت مع جاري ، واستقدمنا طبيبا حاذقا ، فأعطاها الدواء ، ولما كاد ان يغادر الدار سألته : كيف حالها ؟ فقال : تعاني سكرات الموت وستموت اليوم أو غـدا ••••

كان ضغطها خمس درجات ، وكان نبضها ضعيفا وكان العرق يتصبب منها ، كأنها فى حر الصيف تحت الشمس ، وعدت اليها فاذا بها تطلب منديلا ورقيا ، فبادرت الى اعطائها ما أرادت ، فقالت : أشكرك ثم ابتسمت ابتسامة مفارق •

لم تنس وهي فى سكرات الموت ، أدبها الجم وخلقها الرفيع وتربيتها العالية ، وأشهد انني لم أر مثلها ادبا وتربية واخلاقا ، كما لم أر مثلها ادارة للبيت ونظافة ونظاما، أن مثلها فى النساء قليل •

— ٧ —

وبقيت مع زوجها حتى الساعة الثانية عشرة ظهرا ، فأراد جارى الذى جئت بصحبته ان يعود الى اهله ، فاستأذنت زوجها للعودة الى دارى ، وقلت : اخبرنى بما يكون •

وفى الساعة الواحدة والنصف رنّ جرس الهاتف فى دارى ، فلما رفعت السماعة تردّد فى أذنى صوت زوجها الذى لا اخطئوه أبدا قائلا : ماتت عمتّك •••• ثم اجهش بالبكاء •

وعدت أسأل جارى الصديق أن يحضر بسيارته ، فحضر مسرعا ، فوجدنى على باب دارى منتظرا • وكان نعيها قد هزنى هزا عنيفا ، فداهمنى الدوار الشديد وشعرت بالغثيان العنيف ، وامتقع لون وجهى ، فلما قطعت السيارة مسافة نصف ميل عن دارى ، التفت اليّ الجار الصديق : وقال أنا اقوم عنك بالواجب ، فاقترح عليك أن تعود الى الدار لتستريح •

وقلت له : أسرع الى دار المرحومة ، وليكن ما يكون •

وفى دار الزوج ، وجدنا اشخاصا قليلين ، فسألتهم ، هل من معاونة ؟

فقيل لي : كل شيء جاهز •

ولم يكن هناك شيئاً جاهزا !!!

وفى الساعة الثالثة التفت اليّ الزوج قائلا : أريد أن تدفن المرحومة فى مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلانى ، وهذا كان أملها ، فحقق لى ولها ذلك الأمل •

وكنت اعتقد ان تحقيق هذا الامل مستحيل ، ولكننى قلت : لنحاول •

ووفق الله بسهولة ويسر هذا الامل الصعب المستحيل ، فقد علمت ان شخصيات كبيرة جدا ، حاولت قبل موتها ان تحصل على وعد لدفنها فى مقبرة الشيخ عبدالقادر الكيلاني فلم تفلح ، كما حاول اهل شخصيات كبيرة جدا بعد موتها ان تحصل على موافقة لدفنها فى تلك المقبرة فاخفقت •

ولكن المُيَسِّر يسَّر الامور •

وفى الساعة الرابعة ، قلت لزوجها : هيّا بنا الى مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، فلما وصلنا الى المسجد كان القبر غير جاهز ، وقيل لنا : انتظرونى ساعتين •

ووضعنا جثة المرحومة ، وحول صندوقها الذى احتواها علم الامام ابى حنيفة النعمان بن ثابت الكوفى رضى الله عنه ، وضعناه على المصطبة العالية فى مدخل حرم المسجد ، ثم جلسنا فى ديوان الحضرة الكيلانية ننتظر موعد صلاة المغرب •

وصلينا المغرب فى حرم مسجد الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، وحين قضيت الصلاة ، نادى الامام يدعو المصلين الى الصلاة على امرأة مسلمة •

واستجاب لنداء الامام عدد قليل من المصلين ، فقد شغل قسم منهم بالزيارة ، وشغل قسم منهم بالتسبيح والذكر ، وشغل آخرون بالحديث ، مع ان الصلاة على المسلم او المسلمة واجب على المسلمين وحق من حقوق الميت على الحي •

كنت حين بدأ الامام يساوى الصف للصلاة على الجنازة اقول فى نفسى : حقق الله رؤيا المرحومة فى دعوة الشيخ عبدالقادر الكيلانى رضى الله عنه لتكون الى جنبه ، فدفنت بجواره •

فأين مكان ابي ايوب الانصارى فى رؤيتها ؟؟!!

وفجأة وقفت سيارتان كبيرتان ، تحمل كل واحدة منها ثلاثين حاجا من الاتراك ، ترجلوا مسرعين ودخلوا من باب المسجد مهرولين باتجاه حرم المسجد •

ووجدوا امامهم صفا يريد الصلاة على المرحومة ، فانضموا الى ذلك الصف ، وشاركوا فى الصلاة •

وبعد أن قضيت الصلاة ، التفتوا يسألون : من هو قريب هذه المرأة المسلمة المتوفاة ؟

وأقبلوا يسلمون على زوجها ويعزونه واحدا بعد واحد ، يقول هذا : أنا من

اسطنبول ، ويقول الاخر : أنا كذلك ••••• ويقول ثالث : أنا امام مسجد أبي أيوب الانصاري •

ووقفت مذهولا امام تحقيق هذه الرؤيا الصادقة مئة بالمئة •

ولكن ازداد عجبي وذهولي حين حملنا المرحومة الى قبرها ، فقد وجدت القبر الذي دفنت فيه قريبا جدا من ضريح الشيخ عبدالقادر الكيلاني ، ليس بين قبرها والضريح غير الحائط الخارجي الذي يفصل بين المقبرة والضريح •

وبعد يومين من دفنها ، قدم بغداد جماعة من الحجاج ، فيهم مفتي اسطنبول ولواء متقاعد وعالم وطبيب وتاجر ، زاروا زوجها وقدموا له العزاء !

وجلجل صوت المؤذّن لصلاة العشاء ، عندما كان المشيعون في المقبرة يهيلون التراب على الجدث الطاهر ، وبدأ تساقط رذاذ المطر رحمة من السماء ، فتخيّلت كلمات المؤذن للصلاة ورذاذ المطر الهاطل تتحول الى رحمات على الفقيدة تنير قبرها الذي بدأ يتألق قليلا قليلا حتى توهّج ، فغطى على انوار المصابيح الكهربائية التي بدت لناظري خافتة كشمعة تحاول ان تنافس الشمس الساطعة ظهرا •

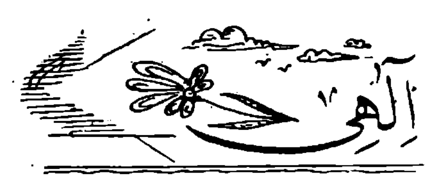
واخذت بيد زوجها ، وسرنا الهوينا بين القبور ، حتى غادرنا مملكة الموت الى دار الحياة • ثم دخلنا حرم مسجد الشيخ عبدالقادر لنصلي مع المصلين صلاة العشاء •

وعدت معه الى داره ، فلما استقر به المكان عدت الى داري ، وفي خلدي تلك الرؤيا الصادقة ، وأنا اقول لنفسي : أيمكن ان يكون تحقيق هذه الرؤيا بمثل هذا الوضوح ، صدفة من الصدف ؟!

قال الشاعر :

ولا تضق لمضيق الصدر من حرج		فللحوائج عند الله أوقات
وغض طرفك لا تنظر الى احد		فالله حيٌ وكل الناس اموات

في رياض الشعر



للاستاذ بوتان معروف جياووك

الهي لك تسبيحي ⠀⠀ وشكري ما رنا الفجر
وما زقزق عصفور ⠀⠀ وغرّد شاديا طير
تجليت لمرآنا ⠀⠀ فهذا الحسن يفترّ
سناه يشع ألوانا ⠀⠀ وينشر عبقه الزهر

* * * * *

الهي قيل لي يوما ⠀⠀ اذا ما مت لن أحيا
ويفني قلبي النابض ⠀⠀ بالاحساس والمحيا
فما صدقته سعيا ⠀⠀ وراء حقيقتي سعيا
فمن انشأني شيا ⠀⠀ سيحييني كما أحيا

* * * * *

الهي منك للتقوى ⠀⠀ وللغفران تأهيل
فأهلني للتقوى ⠀⠀ فهذا العصر مخبول
وصيرني الى رشد ⠀⠀ فمنك الهدي والحول
وأما مسني هول ⠀⠀ فبأسمك ينجلي الهول

* * * * *

الهي كم يعاتبني ⠀⠀ اخلائي على حبي
ولو يدرون ما الاحوا ⠀⠀ ل ما غالوا من العتب
مليك الناس قد شد ⠀⠀ رباط الحب بالقلب
فهل تجدي معاتبة ⠀⠀ لمن يهواك يا ربي

وصلتنا من الأخ نجم عبدالرحمن (خريج ثانوية المعهد الاسلامى ـ الصليخ) قصيدة نقتطف منها الابيات التالية :

نار الحنين تأججت فى اضلعي　　　جمع الفؤاد بزحمة الخفقات
وتحفزت فى النفس كل كوامن　　　بالامس كانت فى غطا وسبات
وتواردت صور الضلال لناظرى　　　مشفوعة بتلون القسمات
واليوم ناءت قوتي وشكيمتي　　　وتكبلت بالاثم والهفوات
يا اخوة الاسلام اين أراكم　　　فكأنني الظمآن فى الفلوات
رباه هذا القلب ملّ شكوكه　　　يرجو الثبات بأصدق الدعوات
وسأحفظ العهد الجميل بهمة　　　رغم الطغاة ولفحة الشهوات

قال الشاعر :

بادر الى الخير يا ذا اللب واللسن　　　واشكر لربك ما اولى من المنن
وارحم بقلبك خلق الله كلهم　　　ينلك رحمته فى الموقف الخشن



– ٩ – يكتبها تلميذ القرآن

محمود محمد غريب امام جامع البنيه

انا فتحنا لك فتحا مبينا • ليغفر لك الله ما تقدم من ذنبك وما تأخر ويتم نعمته عليك ويهديك صراطا مستقيما • وينصرك الله نصرا عزيزا

صدق الله العظيم

مع الآيات الكريمة نعيش هذا اللقاء

باحثين عن سبب النزول

ومتى نزلت هذه الآيات

ووقعها على نفس النبي

ثم ما هي ذنوب النبي الاعظم • وذلك حتى نخطيء فهم القرآن

أولا – سبب النزول

عندما نزل على النبي صلى الله عليه وسلم قول الله سبحانه وتعالى : قل ما كنت بدعا من الرسل وما أدري ما يُفعَل بي ولا بكم) – ٩ – الاحقاف

قال اليهود والمنافقون : كيف نتبع رجلا لا يدري ما يفعل به ولا باصحابه

فعزّ ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم ولكنه صبر

فنزلت هذه الآيات تعرّفه ما سيفعل به يوم القيامة

فقال الصحابة هنيئا لك يا رسول الله لقد بين لك الله ما يفعل بك فما سيفعل بنا نحن ؟

فنزل قول الله تعالى : ليدخل المؤمنين والمؤمنات جنات تجري من تحتها الانهار ويكفر عنهم سيئاتهم وكان ذلك عند الله فوزا عظيما ٥ الفتح

أما تاريخ النزول

فقد نزلت فى صلح الحديبية فى السنة السادسة من الهجرة وصلح الحديبية هو الفتح المبين لان بعده فتح الباب أمام الاسلام ليدخل القلوب بالحجة والبرهان لان الهدنة التى قامت بين النبي وبين قريش اعطت فرصة للجنود المسلمين أن يمارسوا نشاطهم فى الدعوة الى الاسلام فدخل فى الاسلام فى عامين عدد يربو على

الذين أسلموا فى تسعة عشر عاما حوالي خمس مرات
ألست معي أن الاسلام دين دعوة وحجة ؟
أجل ٠٠ انه لم يرفع السيف الا فى وجه الذين بنوا السدود أمام دعوته خوفا على زعامتهم أو رفعوا السيف فى وجه الاسلام ظالمين له
« وقاتلوا فى سبيل الله الذين يقاتلونكم ولا تعتدوا » ١٩٠ البقرة
هذا هو قانون الحرب فى الاسلام
القتال فى سبيل الله وليس فى سبيل البطش والنهب
الذين يقاتلونكم ٠٠٠ اما من سالم الاسلام فهو آمن
ولا تعتدوا ٠٠٠ اسمعي يا كل الدنيا واشهد يا زمان هذا هو قانون الحرب في الاسلام
أما الذنوب المحمدية فمن طراز خاص
ان مثلها لو كتب فى صحيفة عمل المسلم يمسي مع الابرار
وأحاول هنا توضيح الحق
هناك خطأ وهناك خطيئة
وقد وضّح القرآن الفرق بينهما فجعل النية السيئة ـ القصد الجنائي ـ هو الفاصل بين الخطأ والخطيئة
قال الله تعالى (وليس عليكم جناح فيما اخطأتم به ٠٠٠ ولكن ما تعمدت قلوبكم » ٥ الاحزاب
فالخطأ هو ما لم يتعمده القلب وهو موضع العفو وعدم المؤاخذة
أما الخطيئة فهي ما توفر فيها القصد الجنائي ـ نية الشر ـ
وهو موضع المحاسبة قال الله تعالى : بلى من كسب سيئة وأحاطت به خطيئته فاولئك اصحاب النار هم فيها خالدون » ـ بقرة /٨١ ـ
ومن الامور البديهيّة أن معاصي الانبياء عليهم الصلاة والسلام ليست من نوع الخطيئة لان الانبياء صنف خاص من الناس اختارهم الله تعالى لرسالته ورباهم على رعايته
قال تعالى ـ الله أعلم حيث يجعل رسالته » ١٢٤ الانعام
بقي أن تكون المعاصي من باب الخطأ
ومعلوم ان الانسان ان أخطأ فلا شيء عليه

لان القرآن صريح فى ذلك « وليس عليكم جناح فيما أخطأتم به » ٥ ـ الاحزاب والرسول صلى الله عليه وسلم يقول « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وماستكرهوا عليه ...)

ومعلوم أن الخطأ فى ذاته لم يرفع لان الامة تخطىء

اذن الذى رفع هو عقوبة الخطأ والمؤاخذة عليه

فلماذا يحاسب الانبياء على الخطأ مع أنه مرفوع عن الامة ؟

وأضرب لك مثلا ــ ولله المثل الاعلى

لو مرض أحد الناس ولم يحضر لزيارته حتى شقيقه فعلى من ينصب عتابه ؟

لا شك انه كلما اشتد القرب زاد العتاب

وقديما قالوا حسنات الابرار سيئات المقربين

فالمسلم ان صلى العشاء ونام طول الليل حتى صلاة الفجر فلا شىء عليه

أما المقرب لو فعل ذلك ونام فهو موضع العتاب

كيف ينام المقربون ؟

ان ذنوب الانبياء هى كمال الطاقة الانسانية العابدة لله تعالى عند عامة الناس

ان بعض التلاميذ ان حصل على ٩٥٪ فى الامتحان يلام بعنف لماذا لم تحصل على الدرجة النهائية بينما غيره يهنأ بنصف هذا المعدل لانه من الطراز العام

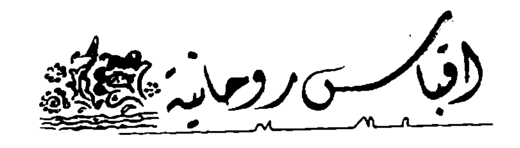
أضف الى ذلك ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يخالف نصا نزل عليه فسبب له العتاب

ولكنه اجتهد فيما لا نص فيه فأخطأ ومعلوم أن المجتهد اذا أصاب له أجران واذا أخطأ فله اجر واحد ... لان الله تعالى لا يكلف نفسا الا وسعها

هذا وكل آيات العتاب سببها أن النبى صلى الله عليه وسلم خيّر بين أمرين وليس لديه نص فى الموضوع فاختار النبى عليه الصلاة والسلام الاقرب الى الرحمة فعاتبه القرآن على فرط محبته

هذه ذنوب النبى صلى الله عليه وسلم ألست معي انها لو وضعت فى صحيفة عمل المسلم يعلو بمثلها الى دار النعيم ؟

أقول ذلك حتى لا نخطىء فهم القرآن



التواضع للعلم

أراد هرون الرشيد ان يحضر اليه الامام مالك بن أنس رضى الله عنه من المدينة المنورة الى بغداد ليأخذ عنه الحديث والفقه ، فلم يرض مالك وقال : « العلم يُرحل اليه و لايَرحل لطالبه » •

ولما حجّ هرون الرشيد ـ وكان رضى الله عنه يحج عاما ويغزو عاما ـ أطال لبثه بالمدينة لاخذ الفقه والحديث عن مالك •

وأراد هرون الرشيد ان يحضر اليه سفيان رضى الله عنه من مكة المكرمة الى بغداد ، ليأخذ عنه الحديث والفقه ، فحضر اليه سفيان وأسمعه ببغداد ما شاء الله أن يسمعه •

وكان تعليق هرون الرشيد بعد هذا قوله : « تواضعنا لعلم مالك فانتفعنا به ، وتواضع لنا علم سفيان فلم ننتفع به » •

عجبت ••• !

قال الامام جعفر الصادق رضى الله عنه : عجبت لمن ابتلى بخمس كيف يغفل عن خمس !

عجبت لمن ابتلى بالضر ، كيف يذهب عنه ان يقول : (ربِّ انى مسنى الضر وأنت ارحم الراحمين) ، والله تعالى يقول : (فاستجبنا له فكشفنا ما به من ضر) •

وعجبت لمن ابتلى بالغم ، كيف يذهب عنه ان يقول : (لا اله الا انت سبحانك انى كنت من الظالمين) ، والله تعالى يقول : (فاستجبنا له ونجيناه من الغم وكذلك ننجى المؤمنين) •

وعجبت لمن خاف شيئا كيف يذهب عنه ان يقول : (حسبنا الله ونعم الوكيل) ، والله تعالى يقول : (فانقلبوا بنعمة من الله وفضل لم يمسسهم سوء) •

وعجبت لمن مكر به كيف يذهب عنه أن يقول : (وأفوِّض أمرى الى الله ، ان الله بصير بالعباد) ، والله تعالى يقول : (فوقاه الله سيئات ما مكروا) •

وعجبت لمن انعم الله عليه بنعمة خاف زوالها ، كيف يذهب عنه ان يقول : (ماشاء

الله لا قوة الا بالله) ، والله تعالى يقول : (ولولا اذ دخلت جنتك قلت ما شاء الله لا قوة الا بالله) .

اما عدلت .. !

يروى عن جعفر بن يحى البرمكى انه رفع اليه كتاب يُشتكى فيه عامل ، فوقع على ظهره : يا هذا ! قلّ شاكروك ، وكثر شاكوك ، فاَمّا عدلت ، واما اعتزلت ..

وأخذ العامل الظلوم درسه من هذا التوقيع الجازم الحصيف ، فحسنت سيرته وعدل بين الناس ، فكثر شاكروه وقل شاكوه .

قرآن الفجر

كانت عائلته مؤلفة من زوجه وابنتين صغيرتين ، وكان يعيش فى دار متواضعة فى بلد غير بلده ، بعيدا عن أهله .

وسافر فى يوم من الايام بمهمة رسمية الى بلد بعيد ، فقال له اهله : لمن تتركنا ونحن غرباء ؟ فقال : لله .

وتذكر قبل مغادرة داره قراءة آية الكرسى ، فقرأها ودعا الله ان يخلفه فى اهله ويحرسهم ويدافع عنهم .

وكان رب العائلة معروفا ، فعرف الناس بأمر سفره ، فعزم جماعة من اللصوص أن يسطوا على داره .

وفى الهزيع الاخير من الليل ، سمع اهله وقع أقدام فى الحديقة الخارجية ، ثم سمعوا صوت معالجة الباب الداخلى المطل على الحديقة ، ثم سمعوا فتح الباب ودخول قسم من الرجال الدار .

ولجأت الطفلتان الصغيرتان الى أحضان أمهما ، وكانت أمهما ترتجف هلعا ،فتضيف الى خوف الطفلتين خوفا جديدا .

وكان الفجر قد أقبل ، وفجأة ساد سكون روحانى أرجاء الدار ، أدخل الاطمئنان فى نفوس الطفلتين ووالدتهن ، وجعل اللصوص يهربون لا يلوون على شيء .

لقد انبعث صوت مقرىء يرتل القرآن ترتيلا ، وكان صوته جهوريا ، واستمرت التلاوة نحو نصف ساعة ، عاد خلالها الاطمئنان الى سكّان الدار ، وتخلص اهله من شر اللصوص .

وحين أشرقت الشمس فى اليوم التالى ، نزل أهل الدار الى الطابق الاسفل الذى كان مسرح حوادث الهزيع الاخير من الليل ، فأذا بالباب الداخلى مفتوحا ، واذا بآثار اللصوص بادية للعيان •

حرس الله اهله ودافع عنهم ، وكان نعم الخلف لعائلته •

لقد استجاب الله الدعاء •

القديم والجديد

مات رجل عن ثلاثة بنين ، وكان بين تركته بطيخة جميلة ، اعتز بها كل الاولاد بقدر اعزازهم ذكرى ابيهم الراحل ، لانها ثمرة غرسه وتعهده ، واعتبروها خير بطيخة اخرجت للناس ، وأبوا أن يمارى فى ذلك احد •

وحفظ الاولاد تلك البطيخة فى موضع من البيت حريز ، ولكن الزمن افسدها ، فانتشرت منها رائحة خبيثة ملأت المنزل كله •

وجلس الاولاد يتشاورون فيما يصنعون ازاء هذا الخطب !

أما أولهم ، فقد دعا الى الاحتفاظ بها رغم كل شيء ولو تعرضوا بسببها للهلاك ، وقال : « ان حكمة ابينا لم تكن فوقها حكمة ، وما نحن بقادرين على أن نأتى بخير منها ، بل اننا لعاقون أن نحاول من ذلك شيئا » •

ولكن ثانيهم ذهب الى عكس هذا الرأى فقال : « يجب ان نلفظ هذا الشيء القذر ونشترى بطيخة جديدة ، فأن من المخجل لنا ان نحتفظ بهذه البطيخة الفاسدة ، ولئن نفعل لنكونن مثلا فى الناس ، فوق ما نتعرض له من التسمم بما تحوى من جراثيم الداء • وكل بطيخة هى مثل بطيختنا ، بل خير منها ، بعد ما انتابها من سوء » •

وقال الثالث : « هيا نرمي البطيخة بعد أن نستخلص منها لبها ، فنبذره ، فيخرج لنا بطيخا جديدا ، تتصل الوشائج بينه وبين تراث ابينا • أما الاحتفاظ بالبطيخة الفاسدة حتى يأتى الدود عليها جميعا ، فمجلبة للسخرية والامراض ، ومضيعة للبطيخة ذاتها • وأما رميها برمتها والاعتياض عنها بجديدة نبتاعها فتبديد لتراث أبينا وللنقود التى نؤديها فى ثمن هذه وأثمان غيرها ، وما نشتريه جديدا لا بد ان يجرى عليه من الفساد مثل ما جرى على بطيختنا ان نحن احتفظنا به قدر احتفاظنا بها • ان التجديد هو ملاك الحياة • بيد ان كل جديد ينبغي ان يتولد من بذور الماضى ، وأن تقوم بذوره فى أرض الماضي ،

ولو تغيرت الفروع لتتواءم مع مقتضيات الفصول ، وتناولها التطعيم لتجويد الثمار » .
وظفرت هذه النصيحة بقبول الاخوين معا » .

خلق صحابي

لما نزل قول الله تعالى : (يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا اصواتكم فوق صوت النبى ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط اعمالكم وانتم لا تشعرون) ، أغلق ثابت بن قيس عليه داره ، وطفق يبكي .

وافتقده النبى صلى الله عليه وسلم ، فسأل عنه ، ثم ارسل من يدعوه . وجاء ثابت ، فسأله رسول الله صلى الله عليه وسلم عن سبب غيابه فأجابه : « انى امرؤ جهير الصوت ، وقد كنت ارفع صوتى فوق صوتك يا رسول الله ، واذن فقد حبط عملي ، وانا من اهل النار » .

وأجابه النبى صلى الله عليه وسلم : « انك لست منهم ، بل تعيش حميدا ، وتقتل شهيدا ويدخلك الله الجنة » .

وصدق رسول الله عليه افضل الصلاة والسلام ، فقد استشهد ثابت فى موقعة (اليمامة)

رضى الله عن ثابت بن قيس وأرضاه .

لا تسبّوه

مرّ ابو الدرداء رضى الله عنه يوما على رجل قد أصاب ذنبا والناس يسبونه ، فنهاهم وقال : « أرأيتم لو وجدتموه فى حفرة ، ألم تكونوا مخرجيه منها ؟! » .

قالوا : بلى !

قال : « فلا تسبّوه اذن ، واحمدوا الله الذى عافاكم » .

قالوا . افلا تبغضه ؟!

قال : « انما أبغض عمله ، فاذا تركه فأنه اخي » .

دعوة سعد

كان سعد بن ابي وقاص رضى الله عنه مستجاب الدعوة ، فسمع رجلا يسب عليا وطلحة والزبير رضى الله عنهم ، فنهاه ، فلم ينته .

وقال سعد للرجل : « اذن ادعو عليك » .

فقال الرجل : « أراك تهددني ، كأنك نبي ! » •

وانصرف سعد وتوضأ وصلّى ركعتين ، ثم رفع يديه وقال : « ان كنت تعلم ان هذا الرجل قد سب اقواما سبقت لهم منك الحسنى ، وانه قد اسخطك سبّه اياهم ، فاجعله آية وعبرة » •

ولم يمض غير وقت قصير ، حتى خرجت من احدى الدور ناقة لا يردها شيء ، حتى دخلت في زحام الناس ، كأنها تبحث عن شيء ، ثم اقتحمت الرجل ، فأخذته بين قوائمها وما زالت تتخبّطه حتى مات •

رؤيا ابن عمر

١ ـ قال عبدالله بن عمر رضى الله عنه : « رأيت على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، كأن بيدى قطعة استبرق ، وكأنني لا أريد مكانا من الجنّة الا طارت بي اليه • ورأيت كأن اثنين أتياني ، وارادا ان يذهبا بى الى النار فتلقاهما ملَك ، فقال : لا ترُع ، فخليا عني •

« فقصّت حفصة ام المؤمنين رضى الله عنها ـ أختى ـ على النبى صلى الله عليه وسلم رؤياى ، فقال : نِعمَ الرجل عبدالله ، لو كان يصلي من الليل فيكثر » •

ومن ذلك اليوم الى ان لقى ربه ، لم يدع عبدالله قيام الليل لا فى حِلّه ولا فى ترحاله •

دواء هاضم

أهدى يوما صديق لعبدالله بن عمر رضى الله عنهما وعاء مملوءا ، فقال ابن عمر : « ما هذا ؟! » •

قال الصديق : « دواء عظيم جئتك به من العراق » •

قال ابن عمر : « وما يطيب هذا الدواء ؟ » •

قال الصديق . « يهضم الطعام » •

وابتسم عبدالله وقال لصاحبه : « يهضم الطعام ؟!••••• انى لم اشبع من طعام قط منذ اربعين عاما » .

أنكى الاعداء

دأب رجل شرير أن يدعو كل يوم : « اللهم اجعل سيفك فى رقاب اعدائي » •

ولكن الايام مضت واعداؤه بخير ، فنفد منه الصبر ، والحّ في الدعاء .

وآوى الرجل الى فراشه يوما ، واستغرق في نوم عميق ، فرأى فيما يراه النائم ، سيفا صقيلا ينطلق صوب عنقه هو ، حتى صار منه قاب قوسين او ادنى ، فصاح مرتعدا : انما سألتك يا رب رقاب اعدائي ، ولم اسألك عنقي » .

واستيقظ مرعوبا ، وقصد رجلا صالحا ، وقص عليه رؤياه ، فأجابه الرجل الصالح : « أنت شر عدو لنفسك ، فان اجاب الله دعاءك ، بدأ بك ، بفعلك السوء ، وقولك الاسوأ ، وأفكارك الآثمة ، اذ بلغت من ايذاء نفسك ما لم يبلغه جملة اعدائك » .

وأخذ درسه ، وتاب الى الله توبة نصوحا .

أعيانا فرارا

لقي ابو جعفر المنصور سفيان الثوري في الطواف ، وسفيان لا يعرفه ، فضرب بيده على عاتقه وقال : « أتعرفني ؟ » .

قال سفيان : « لا ، ولكنك قبضت عليَّ قبضة جبار » .

قال ابو جعفر : « عظني ابا عبدالله » .

قال سفيان : « وماذا عَمِلْتَ بما عَلِمْتَ ، فأعظك فيما جَهِلت ؟ » .

قال ابو جعفر : « فما يمنعك أن تأتينا ؟ » .

قال سفيان : « ان الله نهى عنكم ، فقال تعالى : (ولا تركنوا الى الذين ظَلَموا فتَمسَّكُم النار) .

فمسح أبو جعفر يده به ، ثم التفت الى اصحابه ، فقال : « ألقينا الحَبَّ الى العلماء فلقطوا ، الا ما كان من سفيان ، فقد أعيانا فِرارا » .

من أعلام العارفين



بقلم : صادق الجميلي

« تتمة ما نشر في العدد الماضي »

« رسالة الليث الى مالك »

وقد نقل القاضي عياض فى المدارك بعض مقدمة الرد الذى رد به الليث ولم يجيء بالرسالة كاملة • ولذلك ننقلها كاملة من اعلام الموقعين لابن القيم • وها هي ذى :

« سلام عليكم !! فانى احمد الله اليك الذى لا اله الا هو •

اما بعد !! عافانا الله واياك ، وأحسن لنا العاقبة فى الدنيا والاخرة !! • قد بلغني كتابك تذكر فيه من صلاح حالكم الذى يسرني ، فأدام الله ذلك لكم • وأتمه بالعون على شكره والزيادة من احسانه ، وذكرت نظرك فى الكتب التى بعثت بها اليك واقامتك اياها وختمك عليها بخاتمك وقد أتتنا فجزاك الله عما قدمت منها خيرا ، فانها كتب انتهت الينا عنك ، فاحببت ان أبلغ حقيقتها بنظرك فيها •

وذكرت انه قد انشطك ما كتبت اليك فيه من تقويم ما أتاني عنك الى ابتدائي بالنصيحة ورجوت ان يكون لها عندي موضع وانه لم يمنعك من ذلك فيما خلا • الا ان يكون رأيك فينا جميلا ، والا لاني لم أذاكرك مثل هذا • وانه بلغك أني أفتي بأشياء مخالفة لما عليه جماعة الناس عندكم • وانى يحق عليّ الخوف على نفسي لاعتماد من قبلي على ما أفتيتم به • وان الناس تبع لاهل المدينة التى بها كانت الهجرة • وبها نزل القرآن • وقد أصبت بالذى كتبت به من ذلك ان شاء الله تعالى ، ووقع منى بالموقع الذى تحب ، وما أجد احدا ينسب اليه العلم اكره لشواذ الفتيا • ولا أشد تفضيلا لعلماء أهل المدينة الذين مضوا ولا آخذ بفتياهم فيما اتفقوا عليه منى ، والحمد لله رب العالمين لا شريك لـه •

واما ما ذكرت من مقام رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة ، ونزول القرآن بهـا عليه بين ظهرانى اصحابه ، وما علمهم الله منه ، وان الناس صاروا بـه تبعا لهـم فيه • فكما ذكرت •

واما ما ذكرت من قوله تعالى: « والسابقون الاولون من المهاجرين والانصار والذين اتبعوهم باحسان رضى الله عنهم ، ورضوا عنه وأعد لهم جنات تجري من تحتها الانهار خالدين فيها أبدا ، ذلك الفوز العظيم » • فان كثيرا من اولئك السابقين خرجوا الى الجهادفى سبيل الله ابتغاء مرضاة الله ، فجندوا الاجناد واجتمع اليهم الناس فاظهروا بين ظهرانيهم كتاب الله ، وسنة نبيهم ، ويجتهدون برأيهم فيما لو لم يفسره لهم القرآن ، والسنة وتقدمهم عليه أبو بكر وعمر وعثمان الذين اختارهم المسلمون لانفسهم ولم يكن أولئك الثلاثة مضيعين لاجناد المسلمين ، ولا غافلين عنهم • بل كانوا يكتبون فى الامر اليسير لاقامة الدين ، والحذر من الاختلاف بكتاب الله وسنة نبيه • فلم يتركوا أمرا فسره القرآن أو عمل به النبي صلى الله عليه وسلم او ائتمروا فيه بعده الا علموهموه • فاذا جاء أمر عمل فيه اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بمصر والشام والعراق على عهد ابى بكر وعمر وعثمان ، ولم يزالوا عليه ، حتى قبضوا لم يأمرهم بغيره ، فلا نراه يجوز لاجناد المسلمين ان يحدثو اليوم أمرا ، لم يعمل به سلفهم من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم والتابعين لهم •

مع أن اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم قد اختلفوا بعد الفتيا فى أشياء كثيرة • ولولا أنى قد عرفت أن قد علمتها كتبت بها اليك ، ثم اختلف التابعون فى أشياء بعد اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، سعيد بن المسيب ، ونظراؤه أشد الاختلاف ثم اختلف الذين كانوا من بعدهم فحضرتهم بالمدينة وغيرها ، ورأسهم يومئذ ابن شهاب الزهرى وربيعة •

وكان خلاف ربيعة لبعض من قد مضى ما قد عرفت وحضرت وسمعت قولك فيه• وقول ذوي الرأي من أهل المدينة يحيى بن سعيد ، وعبيدالله بن عمر ، وكثير بن فرقد ، وغير كثير ممن هو أسنّ منه ، حتى اضطرك ما كرهت من ذلك الى فراق مجلسه • وذاكرتك أنت وعبدالعزيز بن عبدالله بعض ما تصيب على ربيعة من ذلك • فكنتما من الموافقين فيما انكرت تكرهان ما اكرهه • ومع ذلك بحمد الله عند ربيعة خير كثير ، وعقل أصيل ، ولسان بليغ ، وفضل مستبين ، وطريقة حسنة فى الاسلام ، ومودة صادقة لاخوانه عامة، ولنا خاصة• رحمه الله وغفر له وجزاه بأحسن من عمله•

وكان يكون من ابن شهاب (الزهرى) اختلاف كثير اذا لقيناه • واذا كاتبه

بعضنا فربما كتب اليه في الشيء الواحد على فضل رأيه وعلمه بثلاثة أنواع ينقض بعضها بعضا ، ولا يشعر بالذى مضى من رأيه في ذلك •

فهذا الذى يدعوننى الى ترك ما أنكرت تركي اياه •

وقد عرفت أيضا عيب انكارى ان يجمع أحد من اجناد المسلمين بين الصلاتين ليلة المطر • ومطر الشام اكثر من مطر المدينة بما لا يعلمه الا الله • لم يجمع منهم امام قط في ليلة مطر ، وفيهم : ابو عبيدة بن الجراح ، وخالد بن الوليد ، ويزيد ابن ابى سفيان ، وعمرو بن العاص ، ومعاذ بن جبل وقد بلغنا ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « اعلمكم بالحلال والحرام معاذ بن جبل » • ويقال يأتي معاذ يوم القيامة بين يدي العلماء برتوة (أي خطوة) ـ أي يتقدمهم خطوة ـ وشرحبيل بن حسنة ، وابو الدرداء ، وبلال بن رباح •

وكان ابو ذر بمصر ، والزبير بن العوام ، وسعد بن ابى وقاص ، وبحمص سبعون من أهل بدر وباجناد المسلمين كلها • وبالعراق ابن مسعود وحذيفة بن اليمان ، وعمران بن الحصين • نزلها أمير المؤمنين علي أبى طالب كرم الله وجهه في الجنة سنين وكان معه من أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم فلم يجمعوا بين المغرب والعشاء قط •

ومن ذلك القضاء بشهادة شاهد ويمين صاحب الحق • وقد عرفت انه لم يزل يقضي بالمدينة به ، ولم يقضى به اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم بالشام ، وبحمص ، ولا بمصر ، ولا بالعراق ، ولم يكتب به اليهم الخلفاء الراشدون : أبو بكر وعمر وعثمان وعلي ؛ ثم لما ولي عمر ن عبدالعزيز وكان كما قد علمت في احياء السنن والجد في اقامة الدين ، والاصابة في الرأي والعلم بما مضى من أمر الناس ، فكتب اليه زريق بن الحكم : انك كنت تقضي بالمدينة بشهادة الواحد ويمين صاحب الحق ، فكتب اليه عمر بن العزيز : انا كنا نقضي بذلك بالمدينة فوجدنا أهل الشام على غير ذلك فلا نقضي الا بشهادة رجلين عدلين أو رجل وامرأتين ؛ ولم يجمع بين المغرب والعشاء قط ليلة المطر • والمطر يسكب عليه في منزله الذى كان فيه بخناصر ساكنا •

ومن ذلك ان اهل المدينة يقضون في صداقات النساء (أي المهور) انها متى

شاءت ان تتكلم فى مؤخر صداقها تكلمت فدفع اليها • وقد وافق أهل العراق أهل المدينة على ذلك ، وأهل الشام وأهل مصر ؛ ولم يقض أحد من اصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ولا من بعدهم لامرأة بصداقها المؤخر ، الا أن يفرّق بينهما موت أو طلاق فتقوم على حقها •

ومن ذلك قولهم فى الايلاء انه لا يكون عليه طلاق حتى يوقف وان مرت الاربعة الاشهر ، وقد حدثني نافع عن عبدالله بن عمر ، وهو الذى كان يروي عنه ذلك التوقيف بعد الاشهر انه كان يقول فى مسألة الايلاء التى ذكر الله فى كتابه : « لا يحل للمولى اذا بلغ الاجل ، الا ان يفيء ، كما أمر الله أو يعزم الطلاق » • وانتم تقولون ان لبث بعد الاربعة اشهر التى سمى الله فى كتابه ولم يوقف لم يكن عليه طلاق ، وقد بلغنا ان عثمان بن عفان ، وزيد بن ثابت ، وقبيصة بن ذؤيب ، وأبا سلمة بن عبدالرحمن بن عوف ، قالوا فى الايلاء اذا مضت الاربعة الاشهر فهى تطليقة بائنة ، وقال سعيد بن المسيب وابو بكر بن عبدالرحمن بن الحارث بن هشام ، وابن شهاب (الزهرى) : اذا مضت الاربعة الاشهر فهى تطليقة ، وله الرجعة فى العدة •

ومن ذلك ان زيد بن ثابت كان يقول : اذا ملك الرجل امرأته فاختارت زوجها فهي تطليقة ، وان طلقت نفسها ثلاثا فهي تطليقة ، وقضى بذلك عبدالملك بن مروان ؛ وكان ربيعة بن عبدالرحمن بقوله ، وقد كاد الناس يجتمعون على انها : ان اختارت زوجها لم يكن له فيه طلاق ، وان اختارت نفسها واحدة او اثنتين كانت له عليها الرجعة ، وان طلقت نفسها ثلاثا بانت منه ولم تحلّ له حتى تنكح زوجا غيره ، فيدخل بها ثم يموت او يطلقها ، الا ان يرد عليها فى مجلسه فيقول : انما ملكتك واحدة ، فيستحلف ويخلى بينه وبين امرأته •

ومن ذلك ان عبدالله بن مسعود كان يقول : ايما رجل تزوج أمة ثم اشتراها زوجها ، فاشتراؤه اياها ثلاث تطليقات ، وكان ربيعة يقول ذلك ، وان تزوجت المرأة الحرّة عبدا ، فاشترته ، فمثل ذلك •

وقد بلغنا عنكم شيئا من الفتيا مستكرها ، وقد كتبت اليك فى بعضها فلم تجبنى فى كتابى ، فتخوفت أن تكون استثقلت ذلك ، فتركت الكتاب اليه فى شيء مما انكرت ،

وفيما اوردت فيه رأيك •

وذلك انه بلغني انك امرت زفر بن عاصم الهلالي ــ حين اراد ان يستسقي ــ ان يقدم الصلاة قبل الخطبة فأعظمت ذلك ، لان الخطبة والاستسقاء كهيئة يوم الجمعة الا ان الامام اذا دنا من فراغه من الخطبة دعا ، ثم نزل فصلى • وقد استسقى عمر بن عبدالعزيز وابو بكر بن محمد بن حزم ، وغيرهما فكلهم يقدم الخطبة والدعاء قبل الصلاة فاستهتر الناس كلهم فعل زفر بن عاصم واستنكروه •

ومن ذلك انه بلغني انك تقول فى الخليطين فى المال ، أنه لا تجب عليهما الصدقة حتى يكون لكل واحد منهما ما تجب فيه الصدقة • وفى كتاب عمر بن الخطاب انه تجب عليهما الصدقة ويتزادان بالسوية ، وقد كان ذلك يعمل به فى ولاية عمر بن عبدالعزيز قبلكم وغيره ، والذى حدثنا به يحيى بن سعيد ، ولم يكن بدون افاضل العلماء فى زمانه فرحمه الله ، وغفر له ، وجعل الجنة مصيره •

ومن ذلك انه بلغني انك تقول : اذا أفلس الرجل ، وقد باعه رجل سلعة ،فتقاضى طائفة من ثمنها ، أو أنفق المشتري طائفة منها أنه يأخذ ما وجد من متاعه ، وكان الناس على ان البائع اذا تقاضى من ثمنها شيئا ، أو انفق المشتري منها شيئا ، فليست بعينها •

ومن ذلك انك تذكر : ان النبى صلى الله عليه وسلم لم يعطِ الزبير بن العوام الا لفرس واحد ، والناس كلهم يحدثون أنه اعطاه اربعة اسهم لفرسين ، ومنعه الفرس الثالث ، والامة كلها على هذا الحديث : أهل مصر ، وأهل العراق ، وأهل افريقية لا يختلف فيه اثنان ، فلم يكن ينبغي لك وان كنت سمعته من رجل مرضى ــ ان تخالف الامة اجمعين •

وقد تركت اشياء كثيرة اشباه هذا • وأنا احب توفيق الله اياك وطول بقائك لما أرجو للناس فى ذلك من المنفعة • وما أخاف من الضيعة اذا ذهب مثلك مع استئناسي بمكانك وان نأت الديار فهذه منزلتك عندى ، ورأيي فيك ، فاستيقنه !! ولا تترك الكتاب الي بخبرك وحالك !! وحال ولدك واهلك وحاجة ان كانت لك ، أو لاحد يوصل بك ، فاني أسرُ بذلك !!•

كتبت اليك • ونحن صالحون معافون والحمد لله !! نسأل الله ان يرزقنا واياكم شكر ما أولينا ، وتمام ما انعم به علينا • والسلام عليك ورحمة الله !!•

مواقفه مع الخلفاء والامراء

عاش الليث فى مصر عالما فاضلا ومحدثا وفقيها ومفسرا ومؤرخا ، اضافة الى ذلك كان له المنزلة الكبرى عند الامراء يستشيرونه فى مهام الامور بل وان النائب والقاضى من تحت امرته ومشورته ، وقد كانت احدى مجالسه يعقدها كل يوم مخصصة لحوائج السلطان اى لغرض الاستشارة فى امور الدولة ومصالح الناس ، وبالجملة كان الليث سيد مصر أمره قبل أمر الولاة ، وحكمه فوق حكم القضاة ولم يستغل ذلك لنفسه بل جعله وقفا لخدمة المسلمين ولتنفيذ احكام الدين • كان الليث يحمل بين طيات جسمه نفسا كبيرة ، دؤوبا لا يعرف الملل والكلل ولم يستسلم فى يوم من الايام الى الخمول والكسل • ولم يكن عمله البحث فى بطون الكتب او الاستقرار بين جدران المسجد فحسب • بل كان الليث العالم حركة تتنقل حيث المصلحة ، فهو يوجه الخلفاء والامراء ويحاسب القضاة وينصف المظلومين من المسلمين وأهل الذمة على حد سواء •

قال الذهبي فى العبر : « كان نائب مصر وقاضيها من تحت أوامر الليث ، وكان اذا رابه من احد شيء كاتب فيه فيعزل • وقد اراده المنصور ان يوليه امرة مصر فامتنع »[٣٦] •

وقال الدكتور احمد امين : « طلبه المنصور للقضاء فأبى وقال : « انى اضعف من ذلك ، انى رجل من الموالي ؟ قال المنصور : ما بك ضعف معي ، الا ضعف بدنك ، أتريد قوة أقوى مني ؟! فأما اذا أبيت فدلني على رجل !! »[٣٧] •

حقا لم يتولّ الليث امرة مصر وقد عفّ عن الولاية وعفّ عن القضاء وقد نال من جلال القدر ورفعة المنزلة ما الجأ الامراء والقضاة الى رأيه والاخذ بمشورته • وخاصم قاضي مصر اسماعيل بن اليسع الكندى وحاججه فى بعض قضايا الوقف وكان يرى صحة الوقف خلاف القاضى الذى كلم ببطلانه • فكتب الى الخليفة المهدى فورد الكتاب بعزله[٣٨] •

ويستشيره الرشيد ويستنصحه فكان جوابه الحكمة والموعظة الحسنة• عن عبدالله بن صالح يقول: سمعت الليث بن سعد يقول: «لما قدمت على هارون الرشيد، قال لي: ياليث!! ما صلاح بلدكم ؟! قلت : يا أمير المؤمنين !! صلاح بلدنا باجراء النيل واصلاح اميرها ، ومن رأس العين يأتي الكدر ، فاذا صفا رأس العين صفت السواقي • فقال : صدقت

يا ابا الحارث !! »[٣٩] •

ويفزع الرشيد الى العلماء يستفتيهم فى أمر أهمه فلم يجد ضالته الا عند عالم مصر الليث بن سعد الذى عرف عنه فى فتواه كان يعتمد على النص ويراعي الحكمة والروح فى التشريع •

قال لؤلؤ خادم الرشيد : جرى بين هارون الرشيد وبين بنت عمه زبيدة بنت جعفر كلام ، فقال هارون : انت طالق ان لم أكن من اهل الجنة • ثم ندم فجمع الفقهاء يستفتيهم فى ذلك فاختلفوا • ثم كتب الى البلدان فاستحضر علماءها اليه ، فلما اجتمعوا ، جلس لهم فسألهم فاختلفوا ايضا ، وبقي شيخ لم يتكلم وكان فى اخر المجلس وهو الليث بن سعد ، فسأله فقال : اذا أخلى امير المؤمنين مجلسه كلمته •• فصرفهم ، فقال : يدنيني أمير المؤمنين ، فأدناه ، فقال : أتكلم على الامان ؟! قال : نعم ! فأمر باحضار مصحف ، فاحضر • فقال : تصفّحه يا أمير المؤمنين حتى تصل الى سورة الرحمن فاقرأها !! ففعل، فلما انتهى الى قوله تعالى « ولمن خاف مقام ربه جنتان » • قال أمسك يا أمير المؤمنين !! قل : والله !! فاشتد ذلك على هارون ، فقال : يا أمير المؤمنين الشرط أملك ، فقال : والله (حتى فرغ من اليمين) قال : قل ! اني اخاف مقام ربي !! فقال ذلك ، فقال : يا أمير المؤمنين ، فهما جنتان وليست بجنة واحدة ، (قال) فسمعنا الفرح والتصفيق من وراء الستر ، فقال الرشيد : أحسنت !! وأمر له بالجوائز والخلع ، وأمر له باقطاع الجيزة ، ولا يتصرف أحد بمصر الا بأمره ، وصرف مكرما[٤٠] •

سخاء الليث

عرف الليث بشدة سخائه وكرمه وكانت هذه الخله من ابرز صفاته الخلقية فلم يصطنع المواقف فى سخائه المفرط فكان يصل القريب والبعيد والخصم والصديق • ولا غرو فى ذلك فهو من علمائنا الابرار الذين زهدوا فى متاع الدنيا وايقنوا ان ما عند الله خير وابقى وان ما فى ايديهم من مال يأتي ثم يزول ولا خير فى علم لم يقترن بالجود• وقد أجمع من ترجموا له أنه : كان غنيا ، سريا ، سخيا ؛ كانت له أملاك واسعة فى الجيزة ، وقيل ان دخله فى العام كان ثمانين الف دينار ، فما أوجب الله عليها زكاة[٤١]• بسبب انفاقها قبل ان يحول عليها الحول • وكان كثير الصلات للعلماء وذوي الحاجات ،

لا يأكل فى وجبة من وجبات طعامه الا ويستضيف الناس معه ، فلم يعرف عنه انه انفرد فى لقمة يوما ما .

عن عبدالله بن صالح قال : « صحبت الليث عشرين سنة لا يتغدى ولا يتعشى الا مع الناس »[42] . وكان لا يأكل الا بلحم الا ان يمرض . وكان لا يتردد اليه احد الا ادخله فى جملة عياله ما دام يترددعليه ويسمع منه ، فاذا اراد الخروج زوده بالبلغة الى وطنه ، وكان يتخذ لاصحابه الفالوذج ويطعم الناس الهرايس بعسل النحل وسمن البقر فى الشتاء وفى الصيف باللوز والسكر[43] . فيهدى الى مالك بالحجاز المرة بعد المرة ، فكان يصله بمائة دينار فى كل سنة . وكتب مالك اليه ان علي ديناً ، فبعث اليه بخمسمائة دينار . وكتب مالك الى الليث انى اريد ان ادخل ابنتي على زوجها فأحب ان تبعث لي بشيء من عصفر . قال ابن وهب : فبعث اليه بثلاثين جملا عصفراً ، فصبغ منه لابنته وباع منه بخمسمائة دينار وبقي عنده فضله[44] .

ولما حج الليث أهدى مالك اليه طبقا فيه رطب ، فرد اليه على الطبق الف دينار . ولما احترقت دار ابن لهيعة وصله بألف دينار . ووصل منصور بن عمار القاضي بألف دينار .

وكان يجيء الى المسجد كل يوم على فرس فيتصدق كل صلاة على ثلثمائة مسكين ، ولم يكن يرد سائلا .

قال منصور بن عمار : كنت عند الليث جالسا فأتته امرأة ومعها قدح . فقالت : ياابا الحارث!! ان زوجي يشتكي وقد وُصف لنا العسل: فقال اذهبى الى الوكيل فقولي له يعطيك مطرا (والمطر مايوازي حجمه السطل وهو مئة وعشرون رطلا) فجاء الوكيل يساره بشيء ، فقال له الليث : اذهب فاعطها مطرا ، انها سألت بقدْرها فأعطيناها بقدْرنا[45] .

واذا رحل من بلد الى اخر ماذا يكون متاعه ؟! يرحل من الاسكندرية فى ثلاث سفائن : سفينة فيها مطبخه ، وسفينة فيها عياله ، وسفينة فيها أضيافه[46] .

وقال منصور بن عمار : « أتيت الليث فأعطاني الف دينار ، وقال : خذ بهذه الحكمة التى أتاك الله »[47] .

وقد كتب على عتبة ضريحه هاذان البيتان :

اذا رمت المكارم من كريم فيمم مَنْ بنى للفضل بيتا

فذاك الليث مَن يحمي حماه ويكرم جاره حيا وميتا(٤٨)

رحم الله ليثا وجزاه على علمه وعمله وسخائه خير الجزاء ونفعنا بسيرته ورزقنا حسن الاتباع انه سميع مجيب ؟

مصادر البحث

١ ـ تهذيب التهذيب ، لابن حجر العسقلاني : ج٨ ص٤٥٩ .
(٤) و(٥) و(٦) و(٧) و(٨) و(٢٥) و(٢٦) و(٢٧) و(٢٩) و(٣٠) و(٣١) و(٣٢) و(٣٩) و(٤٠) و(٤١) و(٤٢) و(٤٦) .

٢ ـ الامام المصري الليث بن سعد ، عبدالله محمود شحاته
(٢) و(٣) و(٤) و(٥) و(١٤) و(١٦) و(٢٠) و(٢٣) و و(٢٤) و(٣٥) و(٣٦) و(٣٨) و(٤٠) و(٤١) و(٤٣) و(٤٥) و(٤٦) و(٤٨) .

٣ ـ تاريخ بغداد ، للخطيب : ج١٣ ص٣ ترجمة رقم ٦٩٦٦
(٤) و(٥) و(٦) و(٩) و(١٥) و(١٩) و(٢٠) و(٢١)و(٣٠) و(٣٣) و(٤٠) و(٤٢) و(٤٤) و(٤٥) و(٤٦) .

٤ ـ ضحى الاسلام ، احمد أمين : ج٢ ص٨٨ .
(١) و(٦) و(١٣) و(١٤) و(١٥) و(١٧) و(٢٥) و(٣٧) و(٣٨) و(٣٩) و(٤١) و (٤٥) و(٤٦) .

٥ ـ فجر الاسلام ، احمد أمين ص١٩٠ وما بعدها .
(١٢) .

٦ ـ البداية والنهاية لابن كثير : ص١٦٦ .
(١) و(١٨) و(٤٤) و(٤٦) .

٧ ـ الطبقات الكبرى ، ابن سعد : ٧ج ص٥١٧ .
(٧) و(٣٤) .

٨ ـ المعارف ، ابن قتيبة الدينوري : ص٢٢١ .
(٧) و(٤٥) و(٤٧) .

٩ ـ ميزان الاعتدال ، للحافظ الذهبي : ج٣ ص٤٢٣ ترجمة رقم ٦٩٩٨ .
(١٠) .

١٠ـ الاعلام ، خيرالدين الزركلي : ج٦ .
(١١) و(١٦) .

١١ـ الجواهر المضية في طبقات الحنفية : ج١ ص٤١١ .
(٢٢) و(٢٥) و(٤٧) .

إحصائية بعدد الحجاج لعام ١٣٩٤ هجرية

البلاد العربية ودول الجامعة العربية

اسم الدولة	العدد
الاردن	١٩٣٩١
الجزائر	٤٩٠٢٥
السودان	٤٢٠٨٤
العراق	٥٨٩٨٣
الكويت	٥٢٧٠
المغرب	٢٦٦٣٢
اليمن	٧٥٥٥٧
تونس	١٠٧٨٥
سوريا	٣١٥٨٣
فلسطين	٢٥٩٦
لبنان	٩٥٢٥
ليبيا	٣٠٧١٥
مصر	٨٩٦١٧
الجنوب العربي	٣٣٨٩
امارات الخليج العربي	٣٤٢٢
البحرين	٣٠٢٢
عمان	٣٤٠٣
قطر	٩٦٢
الصومال	٣٧٦٧
مجموع حجاج البلاد العربية	**٤٧٥١٧٢**

بقية دول آسيا

اسم الدولة	العدد
اتحاد ماليزيا	١٥٣٦٦
افغانستان	٦٢٩٩
الفنبين	١٥٦٤
الهند	٢١٨٧٤
اندونسيا	٦٨٨٧٢
ايران	٥٧٣١٤
بنغلاديش	٢٩٢١
باكستان	٦٦٥٣٤
سنغافوره	٩٥٤
تركيا	١٠٦٠٤٥
تايلند	٣٤٥٦
دول آسيوية اخرى	٤٧٧
مجموع حجاج بقية دول آسيا	**٣٥١٦٧٦**

بقية دول افريقيا

اسم الدولة	العدد
اثيوبيا	٣٤٧٣
النيجر	٧٠٣٠
السنغال	٣٤٠٣
الكامرون	٤٤٢٢
تنزانيا	٦٤٥
تشاد	٤٩٢١
جمهورية وسط افريقيا	٣٢٣
جامبيا	٥٩٧
داهومي	٥٢٧
سيراليون	٩٠٤
ساحل العاج	١١٦٥
غانا	١١٠٥
غينيا	٩٨٨
فولتا العليا	١٥٧٦
كينيا	٥٣١
مالي	٢٦٢٨
موريتانيا	٢٦٧٧
موريس	٣
نايجيريا	٥١٧٦٤
اوغندا	٣١٠٧
جنوب افريقيا	٢٠١٥
دول افريقية اخرى	٦٨٢
مجموع حجاج دول افريقيا	**٨٧٦٤٢**

الدول الاوربية

اسم الدولة	العدد
اسبانيا	١٩٦
بريطانيا	١٢٥٤
فرنسا	٥٥٦
اليونان	١٧٥
يوغوسلافيا	١٨٤٥
دول اخرى	٢٥
الدول الامريكية	١٣٦
دول اوربية اخرى	١٠٠
مجموع حجاج دول اوربا	**٤٢٨٧**
المجموع العام للحجاج	**٩١٨٧٧٧**

المحتويات

الصفحة

ترسل الاشتراكات باسم ادارة مجلة التربية الاسلامية

بغداد ـ الكرخ تلفون (٣٠٥٧٣) مسجلة بدائرة البريد رقم ٣٤

الاشتراك السنوي دينار واحد داخل العراق ودينار وربع خارجه

طبعت بمطبعة العاني ـ بغداد ـ شارع المتنبي تلفون ٨٣١٤٢

رقم الايداع في المكتبة الوطنية ببغداد ٦٣/١٩٧٤